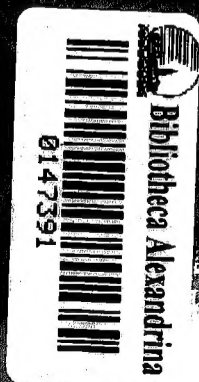


بحر الیون

توفیق الحکیم



توفيق الحكيم

بحر اليون

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي الفيحان

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

- ١ — محمد ^{عليه السلام} (سيرة حوارية) ١٩٣٦
- ٢ — عودة الروح (رواية) ١٩٣٣
- ٣ — أهل الكهف (مشرحية) ١٩٣٣
- ٤ — شهر زاد (مشرحية) ١٩٣٤
- ٥ — يوميات نائب في الأرياف (رواية) ١٩٣٧
- ٦ — عصفور من الشرق (رواية) ١٩٣٨
- ٧ — تحت شمس الفكر (مقالات) ١٩٣٨
- ٨ — أشعب (رواية) ١٩٣٨
- ٩ — عهد الشيطان (قصص فلسفية) ١٩٣٨
- ١٠ — حمارى قال لى (مقالات) ١٩٣٨
- ١١ — براكسا أو مشكلة الحكم (مشرحية) ١٩٣٩
- ١٢ — راقصة المعبد (روايات قصيرة) ١٩٣٩
- ١٣ — نشيد الأنشاد (كافى التوراة) ١٩٤٠
- ١٤ — حمار الحكيم (رواية) ١٩٤٠
- ١٥ — سلطان الظلام (قصص سياسية) ١٩٤١
- ١٦ — من البرج العاجى (مقالات قصيرة) ١٩٤١
- ١٧ — تحت المصباح الأخضر (مقالات) ١٩٤٢
- ١٨ — بجماليون (مشرحية) ١٩٤٢
- ١٩ — سليمان الحكيم (مشرحية) ١٩٤٣
- ٢٠ — زهرة العمر (سيرة ذاتية — رسائل) ١٩٤٣
- ٢١ — الرباط المقدس (رواية) ١٩٤٤

٢٢—	شجرة الحكيم (صور سياسية)	١٩٤٥
٢٣—	الملك أوديب (مسرحية)	١٩٤٩
٢٤—	مسرح المجتمع (٢١ مسرحية)	١٩٥٠
٢٥—	فن الأدب (مقالات)	١٩٥٢
٢٦—	عدالة وفن (قصص)	١٩٥٣
٢٧—	أرأى الله (قصص فلسفية)	١٩٥٣
٢٨—	عصا الحكيم (خطرات حوارية)	١٩٥٤
٢٩—	تأملات في السياسة (فكر)	١٩٥٤
٣٠—	الأيدى الناعمة (مسرحية)	١٩٥٩
٣١—	التعاضدية (فكر)	١٩٥٥
٣٢—	إيزيس (مسرحية)	١٩٥٥
٣٣—	الصفقة (مسرحية)	١٩٥٦
٣٤—	المسرح المنوع (٢١ مسرحية)	١٩٥٦
٣٥—	لعبة الموت (مسرحية)	١٩٥٧
٣٦—	أشواك السلام (مسرحية)	١٩٥٧
٣٧—	رحلة إلى الغد (مسرحية تنبؤية)	١٩٥٧
٣٨—	السلطان الحائر (مسرحية)	١٩٦٠
٣٩—	يا طالع الشجرة (مسرحية)	١٩٦٢
٤٠—	الطعام لكل فم (مسرحية)	١٩٦٣
٤١—	رحلة الربيع والحريف (شعر)	١٩٦٤
٤٢—	سجن العمر (سيرة ذاتية)	١٩٦٤
٤٣—	شمس النهار (مسرحية)	١٩٦٥

١٩٦٦	٤٤ — مصير صرصار (مسرحية)
١٩٦٦	٤٥ — الورطة (مسرحية)
١٩٦٦	٤٦ — ليلة الزفاف (قصص قصيرة)
١٩٦٧	٤٧ — قلبنا المسرحي (دراسة)
١٩٦٧	٤٨ — بنك القلق (رواية مسرحية)
١٩٧٢	٤٩ — مجلس العدل (مسرحيات قصيرة)
١٩٧٢	٥٠ — رحلة بين عصرين (ذكريات)
١٩٧٤	٥١ — حديث مع الكوكب (حوار فلسفي)
١٩٧٤	٥٢ — الدنيا رواية هزلية (مسرحية)
١٩٧٤	٥٣ — عودة الوعي (ذكريات سياسية)
١٩٧٥	٥٤ — في طريق عودة الوعي (ذكريات سياسية)
١٩٧٥	٥٥ — الحمير (مسرحية)
١٩٧٥	٥٦ — ثورة الشباب (مقالات)
١٩٧٦	٥٧ — بين الفكر والفن (مقالات)
١٩٧٦	٥٨ — أدب الحياة (مقالات)
١٩٧٧	٥٩ — مختار تفسير القرطبي (مختار التفسير)
١٩٨٠	٦٠ — تحديات سنة ٢٠٠٠ (مقالات)
١٩٨٢	٦١ — ملاح داخلية (حوار مع المؤلف)
١٩٨٣	٦٢ — التعاادلة مع الإسلام والتعاضلية (فكر فلسفي)
١٩٨٣	٦٣ — الأحاديث الأربعة (فكر ديني)
١٩٨٣	٦٤ — مصر بين عهدين (ذكريات)
١٩٨٥	٦٥ — شجرة الحكم السياسي (١٩٧٩ — ١٩٨٩)

كتب للمؤلف نشرت في لغة أجنبية

شهرزاد : ترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت
عضو الأكاديمية الفرنسية في دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى
الإنجليزية في دار النشر (بيلوت) بلندن ثم في دار النشر (كروان)
بنيويورك في عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثري كستنتر بريس)
واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية في ليننجراد عام ١٩٢٥
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧ في دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية
في واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب في الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩
(طبعة أولى) وفي عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفي عام ١٩٧٤ و ١٩٧٨
(طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية
عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية في دار (هارفيل) للنشر بلندن
عام ١٩٤٧ — ترجمة أبا إيمان — ترجم إلى الأسبانية في مدريد عام ١٩٤٨
وترجم ونشر في السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١
وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخي
لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دي فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما
عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية في مدريد عام ١٩٤٦ .
عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

- ونشر طبعة ثانية في باريس عام ١٩٦٠ .
- عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس بعنوان (مذكرات
قضائي شاعر) عام ١٩٦١ .
- بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ ،
وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثرى كنتنتز بريس)
بواشنطن ١٩٨١ .
- سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (كنتنتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .
- نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- المخرج : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- بيت التل : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- وبالإيطالية في روما عام ١٩٦٢ .
- الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس
عام ١٩٥٠ .
- السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثرى كنتنتز بريس)
بواشنطن ١٩٨١ .
- شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتز)
واشنطن عام ١٩٨١ .
- صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتز)
واشنطن عام ١٩٨١ .

- الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتز)
 واشنطن عام ١٩٨١ .
- الأيدي الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتز)
 واشنطن عام ١٩٨١ .
- شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتز)
 واشنطن عام ١٩٨١ .
- الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتز) واشنطن
 عام ١٩٨١ .
- الشیطان في خطر : ترجم بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠
 وبالأسبانية في مدريد عام ١٩٦٣ .
- العش الهادئ : ترجم بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٤ .
- أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٤ .
- الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٣ .
- دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٤ .
- أنشودة الموت : ترجم ونشر بالإنجليزية في لندن هاينان عام ١٩٧٣
 وبالأسبانية في مدريد عام ١٩٥٣ .
- لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٤ .
- الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٤ .
- رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٦٠ .
- وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثرى كنتنتز بريس) بواشنطن عام
 ١٩٨١ .
- الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٦٠ .
- السلطان الحائر : ترجم ونشر بالإنجليزية في لندن هاينان عام ١٩٧٣ .

- وبالإيطالية في روما عام ١٩٦٤ .
- يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية في لندن عام ١٩٦٦ في دار نشر أكسفورد يونيفرستي بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .
- مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .
- مع : كل شيء في مكانه .
- السلطان الحائر .
- نشيد الموت .
- لنفس المترجم عن دار نشر هاينمان — لندن .
- الشهيد : ترجمة داود بشاي (بالإنجليزية) جمع محمود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٦٨ .
- محمد ^{صلى الله عليه وسلم} : ترجمة د . إبراهيم الموجي ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .
- المرأة التي غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦
- ونشر روتن ولوننج بيرلين .
- عودة الوعي : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلي وندر ونشر دار ماكملان — لندن .

مقدمة

منذ نحو عشرين عاماً كنت أكتب للمسرح بالمعنى الحقيقى .. والمعنى الحقيقى للكتابة « للمسرح » هو الجهل بوجود « المطبعة » ..

لقد كان هدفى وقتئذ فى رواياتى هو ما يسمونه « المفاجأة المسرحية » coup de théâtre ، ولقد كنا نذكر هذه الكلمة متفاخرين ، حتى سرى خبرها بين شيوخ الممثلين من بقايا العهد القديم .. فكان بعضهم يلفظها بحرفة تحريفاً مضحكاً ، لم أزل أذكر قول أحدهم — رحمه الله — وهو يوصينى بين آن وآن :

« أكثر فى دورى يا أستاذ من « الكونك تياتر » ! .. ولم أزل أذكر أيضاً قول مدير المسرح لى : « أتدرى كيف أصنع قبل أن أبث فى مصير روايتك ؟ .. إنى أقرأها فى البيت على أطفالى الصغار ، فإذا استمعوا إليها ولم يناموا فهى مقبولة » ! ..

ما الذى حدث لى إذن بعد تلك الأعوام ! .. كيف صرت إلى

هذه الخيبة ، حتى أكتب روايات إذا أصغى إليها الكبار
ناموا ؟! ..

السبب بسيط : هو أنى اليوم أقيم مسرحى داخل الذهن ،
وأجعل الممثلين أفكاراً تتحرك فى المطلق من المعانى ، مرتدية
أثواب الرموز ! .. إلى حقيقة مازلت محتفظاً بروح الـ « coup de
theatre » ولكن المفاجآت المسرحية لم تعد فى الحادثة بقدر ما هى
فى الفكرة .. لهذا اتسعت الهوة بينى وبين خشبة المسرح ، ولم
أجد « قنطرة » تنقل مثل هذه الأعمال إلى الناس غير :
« المطبعة » ! ..

لقد تساءل البعض : أو لا يمكن لهذه الأعمال أن تظهر كذلك
على المسرح الحقيقى ؟ .. أما أنا فأعترف بأنى لم أفكر فى ذلك
عند كتابة روايات مثل « أهل الكهف » و « شهر زاد » ثم
« يجماليون » ! ..

ولقد نشرتها جميعاً ولم أرض حتى أن أسميها « مسرحيات » ؛
بل جعلتها عن عمد فى كتب مستقلة عن مجموعة « المسرحيات »
الأخرى المنشورة فى مجلدين ، حتى تظل بعيدة عن فكرة

التمثيل ! ..

لهذا دهشت وتخوفت ، يوم فكروا فى افتتاح « الفرقة القومية » عند إنشائها برواية « أهل الكهف » ، ولقد راجعت القائمين بالأمر حينما سألونى الإذن فى تمثيلها ، فلما طمأنونى تركتهم يفعلون ، دون أن أحضر تجربة من تجارب الإخراج ؛ بل لقد لبثت ممتنعاً عن مشاهدة تمثيلها حتى آخر ليلة .. فذهبت مخدوعاً بقول من قال إنها نجحت .. فماذا رأيت ؟ ..

رأيت ما توجست منه : أن هذا العمل لا يصلح قط للتمثيل ، أو على الأقل لا يصلح للتمثيل على الوجه الذى ألفه أغلب الناس ، فالممثلون يعرضون مواقف وأزمات لا يرى الجمهور أن مثلها مما يكتب للمسرح لإثارة العواطف ! ..

لقد خرجت تلك الليلة وأنا أشك فى عملى ، وأومن بصواب رأى الناس ؛ فلقد وجد المسرح ليشهد فيه النظارة صراعاً يستثير التفاتهم ويهز أقدتهم : صراع هو فى المسرح الدموى ، بين درع ودرع ، أو بين ثور ورجل .. وهو فى المسرح التمثيلى بين عاطفة وعاطفة ! ..

هكذا كان المسرح دائماً ويكون . وإن الناس ليتأثرون دائماً
بالعواطف التي يحسونها في حياتهم الواقعية ؛ كالحب والغيرة ،
والحق والانتقام ، والعدالة ، والظلم ، والصفح ، والإثم ! ..
لكن ماذا هم يشعرون أمام صراع بين الإنسان والزمن ، وبين
الإنسان والمكان ، وبين الإنسان وملكاته ؟ .. هذه الأشياء
المهمة والأفكار الغامضة أتصلح لهر المشاعر بقدر ما تصلح لفتق
الأذهان ؟ ..

هكذا انتهى بي الأمر إلى السعي لدى القائمين بشأن « الفرقة
القومية » ، حتى أوقفوا تمثيل « أهل الكهف » إلى اليوم ! ..
أترى ينبغي لمثل هذه الروايات إخراج خاص في مسرح
خاص : إخراج يلتجأ فيه إلى وسائل غامضة ؛ من موسيقى
وتصوير ، وأضواء وظلال ، وحركة وسكون ، وطريقة إيماء
وإلقاء ! .. وكل ما يحدث جواً يهمس بما تهمس به تلك المعاني
المطلقة ؟ .. ربما ، ولعل كنت أقول لافي هذا أيضاً ، لو لم أعرف
رأى Luguè-Poe في رواية « شهر زاد » .. لقد كتب حقاً
يقول :

« Le conte a fort bien dit, mais cela meriterait d'être présenté à la scène française avec goût et intelligence : Le poème reste si beau .. et si profond . »

هذا الفنان يدرك العضلة في مثل هذه الروايات .. كل الصعوبة في الحقيقة هي في إبقاء الشعر أو الفلسفة يشيعان في جو المسرح كما شاعا في جو الكتاب .

وهذا ما فعله هو نفسه في روايات « إيسن » وهو أول من أخرجها للفرنسيين ..

وهذا أيضاً ما فعله في رواية « سالوميه » « لأوسكار وايلد » وهو أول من أخرجها للعالمين .. وكان « أوسكار وايلد » يومئذ في السجن .. فلما علم أن « Lugne - poe » شارع في إخراج روايته لم يكتف فرحه ، ففاض به على صفحات كتابه

... De Profundus

من سوء حظي أن الشيخوخة كانت قد أقعدت هذا الفنان العظيم وأقصته عن المسرح منذ زمن بعيد .. أتراه كان يخرج « شهر زاد » لو أنه قرأها وهو في نشاطه الفني ؟ .. من

يدرى ؟ .. ربما كان يفعل ... ولو أنه فعل لكان هو المجد ! .. بل خير منه عندى هو الفرح ، أن أرى تلك المعانى الحائرة ، والألفاظ الطائرة ، والأشخاص التى تضع قدما على الأرض وأخرى فى الهواء ؛ — قد استقرت كلها داخل إطار ، وأى إطار من الذوق والفهم « ! .. ولكن القدر — على الرغم من جهاد وكد كرست لهما حياة لم أنعم فيها بشيء قط غير متعة الفن وحدها ؛ ليستكثر على هذا الفرح الفنى الآن ، وربما سمح به يوما .. ولكن بعد فوات الأوان ! ..

وأخيراً .. فإن قصة « بجماليون » هذه تقوم على الأسطورة الإغريقية المعروفة ، ولعل أول من كشف لى عن جمالها تلك اللوحة الزيتية « بجماليون » و « جالاتيا » بريشة « جان راوكس » المعروضة فى « متحف اللوفر » .. ما إن وقع بصرى عليها منذ نحو سبعة عشر عاما ، حتى حركت نفسى ، فكتبت وقتئذ قطعة « الحلم والحقيقة » ^(١) ، وكنت آمل أن أعود يوماً إليها ، فأضع كل ما خامرني منها فى عمل أكبر وأرحب ! ..

(١) راجع كتاب « عهد الشيطان » .

ومرت الأيام ، واتجهت إلى « قصص القرآن » و « ألف ليلة
وليلة » ، وكدت أنسى قصة اليونان .. حتى ذكرنى بها
« برناردشو » يوم عرضت مسرحيته « بجماليون » فى شريط من
أشرطة السينما منذ عامين ! ..

عندئذ تيقظت فى نفسى الرغبة القديمة ، فعزمت على كتابة
هذه الرواية .. وقد فعلت ، وأنا أعلم أن هذه الأسطورة قد
استخدمت فى كل فروع الفن على التقريب ، ولا بد أنها أفرغت
فى مسرحيات عدة فيما أعتقد ، وإن كنت لا أعرف غير قصة
الكاتب الأيرلندى ! ..

إنى أعالج إذن أسطورة « مطروقة » فى الآداب والفنون
العالمية .. ومع ذلك من يدرى ؟ .. ربما لحظ بعض النقاد القراء
أن « أهل الكهف » المقتبسة عن القرآن ، و « شهر زاد »
المستلهمة من « ألف ليلة وليلة » و « بجماليون » المنتزعة من
أساطير اليونان ، ليست كلها غير ملامح مختلفة فى وجه
واحد ! ..

ت. ا.

(بجماليون)

(تجرى القصة كلها في منظر واحد ، هو بهو في دار
« بجماليون » ، وأهم ما في البهو نافذة كبيرة تكشف من خلفها
عن غابة ذات أشجار وأزهار غريبة ، ثم باب يؤدي إلى
الخارج ، وآخر يؤدي إلى داخل الدار .. وفي أحد الأركان
ستار أبيض من حرير ..

هذا المنظر ثابت في الفصول الأربعة ، على أن هنالك مع
ذلك أشياء تتغير في كل فصل : تلك هي أضواء الغابة وظلالها
وسكونها وهمساتها ! ..)

الفصل الأول

(ظلام الليل قد بددته أشعة القمر
الطالع في سماء الغابة .. ليس في البهو
أحد غير الفتى « نرسيس » .. وهو
جالس أمام الستار ..

(موسيقى وأصوات غناء يحملها
النسيم من بعيد ، ترقص على أنغامها في
الغابة « جوقة » من راقصات تسع
جيالات ؛ كأئهن « عرائس الخيال »
التسع ، وهن يرمقن النافذة ...
ويقتربن منها رويدا رويدا ...)

الجوقة : (في همس خارج النافذة) نرسيس ! ..

— ٢٢ —

نرسييس : (يلتفت دون أن ينهض) اذهبن ! .. اذهبن قبل أن
يأتى فيبصركن ها هنا ! ..

الجوقة : نرسييس ! .. الليلة عيد فينوس !

نرسييس : أعرف .. أعرف ! .. اذهبن قبل أن يأتى ! ..

الجوقة : ذلك الذى يعيش بعيداً عن المرأة ! ..

نرسييس : إنه آت عما قليل ! ..

الجوقة : ذلك الذى حرم الحب ! ..

نرسييس : إن غيبته لن تطول ! ..

الجوقة : ذلك الذى أنكرته فينوس ! ...

(الباب يطرق ...)

نرسييس : ها هو ذا ! .. ها هو ذا ! ..

الجوقة : بل تلك امرأة من المدينة رأتك فأحببتك ، وأقسمت أن

تكون لها وتكون لك ! ..

المرأة : (تفتح الباب فى رفق ، وتطل برأسها قائلة فى

ابتسامة » أتأذن لى فى الدخول ؟ ..

نرسييس : (فى عنف) لا ! ..

— ٢٣ —

المرأة : (تدخل ، وتغلق خلفها الباب) شكراً ! ... إلى
كنت أتوقع هذا الجواب ! ...

نرسييس : إلى قلت لا ! ..

المرأة : (وهي تدنو منه) وأنا لم أنتظر منك جواباً غير لا ؛
لأن من الحماسة أن أتوقع غير هذه الكلمة من فمك ..
ولكنك لن تقوى على منعى من اقتحام بابك ،
والجلوس هكذا إلى جانبك ! ..

(تجلس ناظرة خلفها ...)

عند هذا الستار الحريرى ... عجباً ! .. ما جلوسك
هذا ؛ كأنك تحرس شيئاً خلف الستار ؟ .. عفواً ! ..
هذا لا شأن لى به .. يجب أن أبدأ فأقول لك إلى أدعى
إيسمين ، وإلى باقية معك هنا الليل إذا شئت ، واليوم
إذا أردت ، والشهر إذا رغبت ، والعام إذا ...

نرسييس : (يكاد ينفجر غيظاً ، ولا يجد الألفاظ) .. !؟

الجوقة : (فى النافذة ضاحكات) مرحى ! ... مرحى ! ...

— ٢٤ —

نرسييس : (للجميع) ألن تنصرفن عن هذا المكان ؟ ...
الجوقة : إنما جئنا الليلة لثمضى بك إلى المهرجان ، حيث يحرق
البخور وتقدم القرابين ! ..

إيسمين : إن أنفه الدقيق لا يطيق رائحة الدخان ، ومزاجه الرقيق
لا يحتمل منظر الدماء ! ..

الجوقة : (لنرسييس) أنت الليلة لنا ، فلتختر من بيننا ! ..
إيسمين : إنه لا يختار .. أنستين أنه نرسييس ؟ .. إنه اعتاد أن
يرى الجميلات يحملن حبه ؛ كما تحمل شجيرات الكرم
العناقيد ! ..

الجوقة : نرسييس ! .. تعال معنا ونحن نعصر لك من عناقيدنا
خمرا تبعث النشوة في روحك النائم !

نرسييس : لا أستطيع الذهاب معكن ... ألا ترين أنى فى شغل
عنكن ؟ .. هل فى مقدورى أن أتركها وحدها ؟ ..
(يلتفت إلى الستار ...)

الجوقة : من هى ؟ ... من هى ؟ ..
نرسييس : زوجته ...

الجوقة : (فى ضحكك) إنك أحمق ! ..

إيسمين : أنسىتن أنه يشبه نرسييس الأساطير ؟ ! .. إن له جماله
وحمقه ... إنه ليس لكُنْ ، ولستُنْ له .. (لنرسييس)

أهو أيضاً الذى أطلق عليك هذا الاسم ؟ ...

الجوقة : منذ الصغر .. منذ التقطه وليداً بين مروج هذه
الغابة ... ومع ذلك لم يفلح فى أن يجعل منه أكثر مما
نرى وترين ؟ ...

إيسمين : اتركه لى إذن ! ... ولا تضيعن مع مثله وقتكن ! ..
(لنرسييس) إنى أحبك يا نرسييس على الرغم من
ذلك ! .. أحبك ...

الجوقة : مرة أخيرة : ألن تأتى معنا إلى المهرجان ؟ ...
إيسمين : أنتتظرن منه الحركة والرغبة ؟ ... أنسىتن أنه زهرة
برية من أزهار المروج ، ينبغى أن تقتطف
اقتطافاً ؟ ...

الجوقة : فليختطف إذن اختطافاً ! ...
(يحاولن أن يتسلقن النافذة ليدخلن عليه فى)

(الدار)

نرسييس : (صائحاً) ويلاه ! .. ويلاه ! ... إيسمين ! ...

إذا كان يعنك أمرى فادفعى هذا السيل عنى ! ...

الجوقة : (تقف فى ضحك) تخشى على الزهرة أن يفرقها

السيل ! ...

نرسييس : إيسمين ! ... إذا كنت تطمعين فى حبى ...

إيسمين : اخترنى إذن ! ..

نرسييس : قد فعلت ! ...

الجوقة : لقد اختار إيسمين ! ..

إيسمين : نعم ، لقد اختارتى ! ... اذهبن الآن إلى مهرجان

فينوس حيث يحرق البخور ، وتقدم القرابين .. فقد

تعثرن على بغيتكن هناك ! ...

(جوقة الجميلات تنصرف وهى ترقص)

نرسييس : (يلتفت إلى إيسمين الجالسة) وأنت ؟ ..

إيسمين : أنا ؟ ... معك باقية ! ..

نرسييس : ألا تذهبين معهن ؟ ..

— ٢٧ —

إيسمين : لن أذهب إلا معك ..

نرسييس : أنت تعلمين أنى باق ها هنا ...

إيسمين : ما يقيقك ها هنا ؟ ... زوجته ؟ ...

(تنهض وتدنو من الستار الأبيض)

نرسييس : (صائحاً) ابتعدى ! ... ابتعدى !

إيسمين : (تتراجع) ألا يباح لأحد أن يراها ؟ ...

نرسييس : لا ! ...

إيسمين : أهو عليها غيور ؟ ...

نرسييس : نعم ! ...

إيسمين : جماها — فيما يقال — لا يمكن أن يخلق إلى مثاله

خيال ! ...

(تعود إلى محاولة الدنو من الستار الأبيض ...)

نرسييس : لا تقربى الستار ! ..

إيسمين : (ترجع وتقبل عليه) صف لى حسنها ! ...

نرسييس : أنا ؟ ! ..

إيسمين : صدقت ... لست أنت الذى يطلب إليه ذلك ...

— ٢٨ —

اذكر لي على الأقل اسمها ! ...

نرسيس : جالاتيا ! ..

إيسمين : (ناظرة إلى الستار ...) جالاتيا الجميلة ! ... هكذا

إذن مقامها دائماً خلف الحجب ! ...

نرسيس : لا ينبغي أن يقع على جسدها الناصع ذرة من

غبار ! ...

إيسمين : (كاتخاطبة نفسها) وهذا موكول إليك بالطبع ... ما

أبرعك سادنا ؛ كأغلب سدنة المعابد ! ... يُعنون

بذرات ترابها ، ولا يرون قبسات روحها ؟ ! ...

(تشرئب بعنقها لتتظر من فرجة الستار)

نرسيس : ماذا تصنعين ؟ ...

إيسمين : (دون أن تلفت إليه) ما هذا الشذا الطيب ؟ .. أهو

عطر مما ينثره حوالياها ؟ .. وما هذا البريق

العجيب ؟ ... أهو قرط من لؤلؤ يزين أذنيها ؟ .. وما

هذا السرير المفروش ، ذو الطنافس الفاخرة والوسائد

المصنوعة من ناعم الريش ، حتى لا يَجرح عجاج

خديها ! ... وهذه الثياب بالذهب موشاة ، وبألوان
« فينيقيا » مصبوغة ! .. وهذه الهدايا الرائعة ، من
عنبر ومرجان وأصداف لامعة ! ...

نرسيس : كيف علمت أن كل هذا لها ؟ ...
إيسمين : ما أشد حمقك يا نرسيس الجميل ! .. كل الناس في
المدينة تتحدث بغرام بجماليون ! ..

نرسيس : ماذا يقولون ؟ ...

إيسمين : يقولون إنه مجنون ! ...

نرسيس : مجنون !؟ ..

إيسمين : ربما كان لهم بعض العذر ! ... ماذا ترى الناس
يسمون رجلا يصنع بيديه من العاج امرأة ، يقع في
حبها ، ويناجيها ويدللها ويناعيا ويدعوها زوجته ،
ويغمرها بكل ما تصبو إليه المرأة من ترف ! ...

نرسيس : (يلتفت إلى الباب في قلق) لا تشغليني بالحديث أكثر
من ذلك ! ..

إيسمين : إنه ليسعدني أن أعلم أن حديثي يشغلك .. ويكاد

— ٣٠ —

يسرك فيما أرى ! ..

نرسييس : أخشى أن يعود فيراك هنا ! ...

إيسمين : لن يعود الآن ! ..

نرسييس : كيف عرفت هذا أيضاً ؟ ..

إيسمين : لقد أبصرته عند معبد فينوس ، أمام المذبح ، يعد لها

القرايين .. هذا الذى لم يحفل قط يوماً بفينوس

وعيدها .. لأمر ما يتقرب اليوم إليها ...

نرسييس : لأمر ما ؟ ...

إيسمين : لعله ينوى أن يسألها شيئاً ؟ ! ...

نرسييس : إنه لم يسأل قط إلهها غير أبولون ! ..

إيسمين : وهل يغنى أبولون عن فينوس ، مانحة الحب

والحياة ؟ ! ..

نرسييس : وهل تغنى فينوس عن أبولون ، مانح الفن والفكر ؟ !

إيسمين : لا تكفر بفينوس يا نرسييس ، وهى التى منحتك

الجمال ، وجعلتك معشوق النساء ...

نرسييس : أجل ؛ ولكن أبولون لا يريد أن يمنحنى شيئاً ...

— ٣١ —

إيسمين : يا للعجب ! .. أنت وبجماليون طرفا نقيض .. عند
أحدكما ما ليس عند الآخر .. لعل هذا ما يربط أحداكما
بالآخر ! ..

نرسييس : إنه يقول لى أحيانا : لا تتركنى يا نرسييس ، فأنت
تكمل ما بى من نقص ! ... لكنه يقول أيضاً أحيانا :
إنك يا نرسييس الشطر الجميل العقيم للأشياء .. أنت
الصدفة البراقة التى لا تحوى اللؤلؤة ! ...

إيسمين : لقد صدق .. إنى ما عجبت قط لحظة ... إن مثلك لا
يرى .. لكم أنا لم لك ! ..

نرسييس : أحقاً تتألمين لى يا إيسمين ؟ ...

إيسمين : أتشك فى ذلك يا نرسييس ؟ ...

نرسييس : كلامك هذا غريب على أذنى ...

إيسمين : أعلم ذلك .. لهذا آمنت كل الإيمان بأن دواءك فى
يدى ! ...

نرسييس : ماذا تستطيعين لى ؟ ...

إيسمين : أعطنى الصدفة ، أتناولها بين راحتى لأفتحها

— ٣٢ —

وأملأها ...

نرسييس : تملئنيها ماذا؟ ..

إيسمين : هذا من شأني .. أطعني ودعني أجعلك تبصر

وتحيا ! ...

نرسييس : (كاخاطب لنفسه) أبصر وأحيا ؟! ..

إيسمين : نعم ! .. هذه الزهرة المقفلة ، لا بد لها من قطرات

الندى لتفتح ...

نرسييس : ومن أين تتساقط هذه القطرات ؟ ...

إيسمين : من عيني امرأة ! ..

نرسييس : لست أفهم ما تعنين ! ...

إيسمين : انهض واتبعني ! ..

نرسييس : الآن ؟ ...

إيسمين : نعم ... الآن ...

نرسييس : وجالاتيا ؟ ...

إيسمين : دع هذا التمثال ... إنه لن يتحرك . ولن يهرب ! ..

(تجذبه من يده جذباً قوياً ...)

— ٣٣ —

نرسيس : مهلا ! .. مهلا ...
إيسمين : هلم .. هلم .. أيتها التماثيل الجامدة ... شيئاً من
الحياة .. اترك الساعة دار هذا المثال واتبعنى .. يا
نرسيس الجميل ! ...
(تقوده إلى الخارج ، وهو ينظر إلى الستر خلفه قلقاً
ثم يفلقان خلفهما الباب ويذهبان)

* * *

(يتغير ضوء الغابة ؛ فقد التمع في النافذة نور سماوى
وهبطت من عليائها مركبة فينوس تجرها بجعتان ،
وهى فيها مع أبولون .. وقد أمسك بيدها ؛ كأنه
يقودها ، ثم يترك المركبة ويدخلان في خفة الهواء
ورقة النسيم من النافذة إلى داخل الدار ...)

* * *

فينوس : عجباً لك يا أبولون ! ... ما هذا الخاطر الذى بدا
لك ؟ ... الليلة عيذى ومهرجاني ، وأنت تنتزعنى
من ساحة معبدى الزاخرة بالجموع لتأتى بى إلى هنا ...
(بجماليون)

— ٣٤ —

إلى دار رجل .. خاوية ... خالية ..

أبولون : (يشير لها إلى الستار الأبيض) خاوية ..

خالية ؟! .. كلا يا فينوس ! .. انظري خلف هذا

الستار ! ..

فينوس : ماذا خلف هذا الستار ؟ .. تمثال من عاج ! ..

أبولون : وأى تمثال ! ... تأمل ملياً يا فينوس ! ...

(يكشف الستار ، فيظهر خلفه التمثال فوق

قاعدته ...)

فينوس : امرأة ! ...

أبولون : بل ما ترين أجمل كثيراً من امرأة ، وأكمل كثيراً من

امرأة ! ...

فينوس : (تتأمل التمثال وتهمس لنفسها في إعجاب) كيف

ارتفع إلى هذا ...

أبولون : (في تفاخر) هنا السر ! ...

فينوس : بشر هالك ! ...

أبولون : ومع ذلك ...

— ٣٥ —

فينوس : (وعيناها إلى التمثال) أصبت ! ... ما اسم هذا
الشيء ؟ ... جالاتيا ١٩ ..

أبولون : هذا الشيء ١٩ ... إنك لا تجسرين أن تسميه امرأة ..
أنت أيضاً ترين جالاتيا أجمل كثيراً من امرأة ، وأكمل
كثيراً من امرأة ١ ...

فينوس : (تدنو من التمثال وكأنها تريد أن تلمسه)
جالاتيا ١ ...

أبولون : أتلسمسيتها لتحقيقي أن حرارة الحياة لا تجرى في
شرايينها ١ ...

فينوس : ماذا ينقصها حقاً غير الكلام ١٩ ..
أبولون : إني أسمع مع ذلك كلاماً خالداً منطبعاً على شفيتها
الجامدتين ١ ..

فينوس : أكاد لا أصدق أن هذا العمل يخرج من بين أصابع
فانية ١ ...

أبولون : هؤلاء البشر يا فينوس يمتازون عنا — نحن الآلهة —
هذا الامتياز : في طاقتهم أحياناً أن يسموا على

أنفسهم .. أما نحن فلا نستطيع أن نسمو على أنفسنا ..
 إن قوة الفن أو ملكة الخلق عند هؤلاء لقادرة أحياناً أن
 توجد مخلوقات جميلة ليس في إمكاننا نحن الآلهة بأن
 نأتى بمثلها أو نجاريهم في شأوها ... لأنهم أحرار في
 السمو ، ونحن سجناء في النواميس ! ...

فينوس : (كاخاطبة لنفسها) قوة الفن ! ... ما قوة الفن تلك
 التي يستطيع بها الهالك أن يخلق الخالد ؟ ...

أبولون : (باسماء في خيلاء) هنا سرنا ! ...

فينوس : لست أذكر شيئاً عن هذا الرجل ! ...

أبولون : بجماليون ، هو من عبادى أنا ! ..

فينوس : فهمت ... لهذا لم ألتفت إليه .. لقد حرمته هباتى ،
 فعاش كما ترى بعيداً عن حب المرأة ! ...

أبولون : لقد حرمته ، لكن ها هو قد صنع بيديه امرأة ، وخلق
 بنفسه لنفسه الحب ! ...

فينوس : ماذا تعنى يا أبولون ؟ ... تعنى أن جالاتيا هذه ليست
 إلا تحدياً لى ؟ .. وأن هذا الأثر ، ليس إلا تمثال

الانتصار علىّ ، يقيمه في وجهي هذا البشر ؟ ...
الويل له .. الويل له ..

أبولون : لا تغضبى. يا فينوس ! .. لست أظن هذه الفكرة
جالت بخاطره ... هؤلاء البشر ينظرون إلينا في أكثر
الأحيان نظرة التقديس ، حتى انتصارهم علينا لا
يشعرون به ، وهم يسمونه انتصاراً على أنفسهم ! ..
فينوس : (ترمق التمثال في سخط وازدراء) جالاتيا ! ..

هه ! ... هي بعد ليست أكثر من تمثال عاجي ...
أبولون : لا تزدرىها يا فينوس ! ... إنها مع ذلك خليفة
بجه ! ...

فينوس : ماذا تفهم أنت من الحب ؟ ...
أبولون : أفهم منه ولا ريب غير ما تفهمين منه أنت ! ...
فينوس : أبولون ، إني ذاهبة ... لدى عمل أجدى علىّ ...
عبادى ينادوننى في ساحة المهرجان ! ...
أبولون : لا أود أن يقع في نفسك شيء من يجماليون ... إنه ..
(يحمل النسيم صوتاً آتياً من بعيد)

فينوس : صه .. ما هذا ؟ ..

أبولون : هذا ولا ريب أحد عبادك يناديك وهو يقدم إليك
القربان ! ..

فينوس : (تصغى ملياً) ليس من عبادى .. لم أسمع هذا
الصوت من قبل ! ..

أبولون : (يصغى) يخيل إليّ أنا أنى أعرف صاحب هذا
الصوت ! ...

(الصوت يدنو ، وتضج ألفاظه ...)

الصوت : (من بعيد) فينوس ! .. فينوس ! ... أيتها الإلهة
ذات العرش المصنوع من الذهب ، المطعم بالياقوت
والفيروز ! .. يا ابنة جويتر العظيمة ! ... يا من
تلبين نداء عبادك وأنت تشقين بمركبتك الذهبية
سحب السماء ، مركبتك التى تجرها بجعتان رشيقتان
خفيفتان ، تضربان بأجنحتهما اللطيفة أمواج
الفضاء ... « فينوس » اسمعى ندائى ، وأجيبى
دعائى ! ..

— ٣٩ —

فينوس : من هذا ؟ ..

أبولون : هذا هو بجماليون ..

فينوس : (في دهشة وتيه) بجماليون ! .. عجباً ! ...

عجباً ! ... ماذا يريد منى أنا الآن ؟؟ ..

بجماليون : (من بعيد) فينوس ؟ .. فينوس ؟ ... أيتها الجميلة

الآمرة على عرش الجمال ! ... يا من ولدت على زبد

موجة من أمواج البحر ، فمن بين كنوزه الرائعة أنت

أهبى لأولوة ! .. ابسمى لى من شفتيك الإلهيتين ! ..

فينوس : (في رفق) .. بجماليون ! ... ماذا يريد منى هذا

الفنان ؟ ...

بجماليون : (من بعيد) فينوس ! .. فينوس ! ... أيتها المشرقة

بين الإلهات .. يا من توقدين بأناملك النورانية في

قلوب الناس مصاييح .. أصغى إلى رجائى ! ..

فينوس : (في عطف) إني مصغية .. ماذا يريد منى

بجماليون ؟ ...

أبولون : (في خبث) عجباً ! ... أرى ثناءه عليك قد محا

للفور غضبك عليه ! ..

فينوس : إنه رجل يلتمس رعايتي ! ...

أبولون : إنها المرأة دائماً متيقظة في أغوار نفسك الإلهية ! ...

فينوس : (لا تلتفت إليه وتولى وجهها شطر الصوت

هامسة) إني مصغية يا بجماليون ! ...

بجماليون : (من بعيد) فينوس ! ... فينوس ! ... أيتها السخية

بالهبات ! ... امنحيني هبة واحدة : انفخي حرارة

الحياة في تمثال جالاتيا ! ... زوجتي جالاتيا

العاجية !... أعطها حياة يا إلهة الحب والحياة !! :..

فينوس : (لأبولون) أسمعت ما يريد ؟ ...

أبولون : (بلا حراك) سمعت ! ...

فينوس : بم تشير عليّ ؟ ...

أبولون : (فاترا) ليس من عادتي أن أتدخل فيما لا يعني ! ..

فينوس : عجباً ؟ ... ما هذا الفتور منك !... أيسوؤك أن

يتوجه إليّ بجماليون بالدعاء ...

أبولون : إني ذاهب ! ... أبقى أنت هنا إذا شئت !...

— ٤١ —

فينوس : لا أود أن يقع في نفسك شيء من يجماليون ... إنه ...

أبولون : إنه يريد الحب والحياة !

فينوس : ولماذا نأبأهما عليه ؟ ... سأمنحه ما أراد ! ...

أبولون : امنحيه إذن ! ... ولننظر ما سيكون ! ...

فينوس : (تتقدم نحو التمثال رافعة يديها إليه هاتفة) : بأمرى

أيتها الدماء التي سفكها لي قرايين ، اجري قانية في هذه

الشرابين ! ... بأمرى أيتها النار التي حرق لي فيها

البخور ، اجعلي في جسدها الحرارة وفي عينيها

النور ! ...

(التمثال يتحرك قليلا)

بأمرى يا جالاتيا الحية ، انعسى قليلا الآن ، وانتظري

حتى يوقظك بالقبلات زوجك يجماليون ...

أبولون : هلمى بنا ... إنه آت ... إنه يقترب ! ...

فينوس : فلنبق هنا حتى نرى ! ...

أبولون : ألا نخرج من الدار ونشاهد من خلف النافذة ؟ ...

فينوس : لا بأس ... هلم ...

(فاصل موسيقى)

(يخرجان فى أثناؤه من النافذة كما دخلا ويقيان
خلفها يشاهدان .. ثم يفتح باب الدار ويدخل
بجمالون ونرسيى)

بجمالون: ألم أوصك أن تبقى ها هنا ، حتى أعود ؟! ...
نرسيى : أغرتنى إيسمين ! ...

بجمالون: آه للنساء ! ... النساء ! ...

نرسيى : لقد أغلقت خلفى الباب ! ...

بجمالون: (ينظر إلى الستار) وهذا الستار من الذى كشفه
إذن ؟ ...

فينوس : (همساً لأبولون خلف النافذة) يا لحمقنا يا
أبولون ؟ ... لقد نسينا أن نسدل الستار كما كان ...
نرسيى : (لبجمالون) النافذة مفتوحة ، لا ريب إنه هو
الهواء ! ..

أبولون : (همساً لفينوس) أرايت يا فينوس ؟ ... هؤلاء
البشر ، يجدون دائماً الأسباب التى يعللون بها

— ٤٣ —

حماقاتنا ! ...

نرسيس : (ليجماليون) أأسدل الستار كما كان ؟ ...

يجماليون : (يجلس شارد اللب) نعم ! ...

نرسيس : ثق أنى اتبعت ما أوصيتنى به ... فلن تر ذرة من تراب

على جسدها الناصع ! ...

(نرسيس يسدل الستار على جالاتيا وهو ملتفت

فى قلق واستطلاع إلى يجماليون المطرق

الساهم ...)

يجماليون : نعم ...

نرسيس : ماذا بك ؟ ...

يجماليون : اذهب الآن إلى شأنك ... إلى المرأة التى أخذتك من

يدها الساعة فى الطريق ... لا حاجة بى إليك

الآن ! ...

نرسيس : ولكنك ! ...

يجماليون : قلت لك اذهب ... اذهب إلى جميلاتك ... لا عمل

لك الآن هنا ؟ ...

— ٤٤ —

نرسييس : وجهك شاحب ...

بجماليون: هو التعب .. من طول الوقوف فى ساحة

المهرجان ! ...

نرسييس : بل الأمر أشد من ذلك خطراً ! ...

بجماليون: لا تحاول أن تعرف ما بى ! ...

نرسييس : لماذا ؟ ... لم لا تخبرنى ؟ ...

بجماليون: هنالك أشياء لا تستطيع أن تفهمها ..

نرسييس : ولكنى أستطيع أن أصغى إليك ! ...

بجماليون: وما نفع هذا لى ؟ ...

نرسييس : لقد علمت أنك تسأل فينوس شيئاً ! ..

بجماليون: (يرفع رأسه فجأة) ما هو ؟ ..

نرسييس : لست أدرى بعد ما هو !! ...

بجماليون: (يعود إلى الإطراق) دعنى الساعة وحدى ! ...

نرسييس : لا يجعل لى أن أتركك وحدك وأنت على هذه

الحال ...

بجماليون: وبعد يا نرسييس ... لماذا تجشمنى الكلام فى غير

— ٤٥ —

طائل .. وأنا في حاجة إلى الراحة ١٩ ..
نرسييس : أنت تعلم أني لا أود إتعابك ... ولا أحب أن أراك
تعباً ...

بجماليون: (كالمخاطب نفسه) إني تعب .. إني حقاً تعب ...
نعم لقد تعبت .. ليس في مقدوري أن أقضى حياتي
كلها كذلك ! ..

نرسييس : كذلك ؟ .. كيف ١٩ ..
بجماليون: أنفق عمري كله أخلق ، دون أن ألتقي شيئاً ؟ ...
أفاهم أنت معنى ذلك ؟ ... ما دمت تريد أن أخبرك
بما أنا فيه .. فلا أخبرك .. هاأنذا أقول لك إني تعب ..
لا أستطيع أن أمضي في هذه السبيل ... أخلق وأخلق
وأخلق .. أخلق الجمال ، وأخلق الحب ، وأخلق كل
ما تطلبه نفسي ! ...

كلا لقد تعبت .. أريد الآن أن أشعر أن هنالك من
يخلق لي ، ويعطيني ، ويحدب عليّ .. ويمنحني ! ..
ما أعظم الضعف أحياناً .. الضعف ! ... هذا الشيء

الإنسانى الجميل ، الذى حرمت إيساه أنتم أيتها
الآلهة ! ... لأول مرة أحس كاهلى ينوء تحت وقر
الخلق وبرودته ووحدته وقسوته ! ... ولأول مرة
أرئى للآلهة الذين لا يعرفون — طول الأبد — غير
المنح والعطاء ، دون أن يتلقوا شيئاً غير دخان من
البخور وهباء من الثناء ! ...

نرسيس : (بعد لحظة) لست أدرك بعد ما بك ! ...

بجماليون: قلت لك إنك لن تفهم .. إليك عنى .. اذهب وأغلق
الباب خلفك ! ...

نرسيس : سأعود مع الصباح ! ...

(يخرج ويغلق خلفه الباب ...)

أبولون : (همساً لفينوس) إنه يخشى أن يصير إلهاً ؛ فلقد شعر
بحقيقتنا التعسة ...

فينوس : (همساً) صه ! .. جالانيا تنهد ! ..

(يسمع صوت تنهد خلف الستار ...)

بجماليون: (يرفع رأسه) مَنْ هنا ؟ ... نرسيس ؟ .. ألم تذهب

بعد ؟ ...

جالانيا : (خلف الستار) آه ...

بجماليون : (ينهض) نرسيس !... نرسيس !... من الذى يتهد

هنا ؟ .. (يتجه إلى الستار ، ويدخل خلفه ، ثم لا

يلبث أن يصيح :) يا لرأسى المكدود !... إنه

المس ... إنه الخبل !... هذا مستحيل ! ... هو

الوهم ! ... هو الوهم !... ومع ذلك ...

ترتجفان ! .. شفتاها العاجيتان ترتجفان ..

ترتجفان ... ترتجفان ! ...

أبولون : (همساً لفينوس) أسرعى !... أوحى إليه بالحقيقة ،

قبل أن يجن من صدمة الحدث ! ...

فينوس : (هامسة لبجماليون الختفى خلف الستار) إنها

حية ... قَبِّلْهَا ! ...

بجماليون : (خلف الستار كالمخاطب نفسه) حية ! ... أترى

فينوس قد استجابت ؟ ... نعم ... نعم

فينوس ؟ ... جالاتيا تنبض بالحياة ... جالاتيا زوجتى

— ٤٨ —

جالاتيا : (من خلف الستار) يوقظنى بالقبلات زوجى
بجمالون ؟ ! ...

بجمالون : (من خلف الستار) نعم ... زوجك بجمالون ...
شكراً لفينوس ! ...

(يظهران معاً من خلف الستار)

جالاتيا : (تتمطى) آه ! ... لقد نمت طويلاً ! ... لكأنى
أستيقظ من حلم طويل كاد ينسينى الحقيقة ...
(تنظر حولها) أهذه دارنا ؟ ... إنها جميلة ... إلى
أعرفها ! ...

بجمالون : (ناظراً إليها كالمسحور) شكراً لفينوس ! ...
جالاتيا : (تلقى نظرها إلى النافذة) وهذه النافذة الكبيرة
أعرفها أيضاً ، لكأنها قلب كبير يتفتح على كنوز من
روائع هذه الغابة الساحرة ... ما أجل هذا
المكان ! ..

بجمالون : شكراً لفينوس ! ..

جالاتيا : (تلتفت إلى بجمالون) لماذا لا تكلمنى ؟ ... لماذا

— ٤٩ —

تحدجنى بهذه النظرات ؟ ... ألم تكن تعرفنى من
قبل ؟ ...

پجماليون: كيف لا أعرفك ؟ ...

جالاتيا : أنا أيضاً أعرفك ... منذ ... منذ ... دائماً ...
لكن ... يا للعجب ! ... لست أذكر متى ، ولا
أين ؟ ...

پجماليون: (ينظر إليها ملياً) جالاتيا ! ...

جالاتيا : پجماليون ! ... لا تطل إلى النظر هكذا ! ...
زوجى ... إنك تخيفنى ! ... إنك تنظر إلى كما لو
كنت ترانى أول مرة !! ...

پجماليون: اجلسى هنا ... إلى جانبى ...

(تجلس إلى جانبه ... فيمر بيده على كتفها
وذراعها ؛ كأنه يحس تمثالا)

جالاتيا : عجباً لك ! ... ماذا بك ؟ ... ألا تعرف أن لى
كتفين وذراعين ؟ ...

پجماليون: (كاتخاطب نفسه) كيف لا ؟ ... أعرف أن لك
(پجماليون)

— ٥٠ —

هاتين الكتفين، وهاتين الذراعين ! ...

جالاتيا : كلمنى قليلا كلاما أفهمه ! ...

بجماليون: (وهو يتأملها كالمشده) وهذا الفم الذى ينطق ...

وهذه العين التى ترنو ... وهذا الحاجب الذى

يعلو ... كل ذلك أعرفه ! ... وأعرف العناء الذى

تكلف ! ..

جالاتيا : ماذا تعنى يا بجماليون ؟ ...

بجماليون: (يقيق قليلا) أصبت ! ... أصبت ... لا ينبغي أن

أتكلم هكذا ... معذرة يا جالاتيا ... إني فرح

بك ... فرح بلقياك ! ...

جالاتيا : أو كنت غائبة ؟ ...

بجماليون: كيف يمكن أن تكونى غائبة ؟ ! ... إنك حاضرة دائماً

فى ذهنى ... حاضرة منذ ... منذ أمد بعيد ! ...

جالاتيا : شكراً لك ! ...

بجماليون: أيسرك أن أقول لك ذلك ؟ ...

جالاتيا : نعم ... قل لى أيضاً إنك تحببى ! ...

— ٥١ —

بجماليون: آه يا جالاتيا.. لقد أحبيتك قبل أن توجدى ... إن

حبي لك هو الذى أوجدك ! ...

جالاتيا : لكأنى أسمع صوتك خلف سحُب .. لست أفهم كل

عبارتك ! ...

بجماليون: يا للآلهة ! .. كيف أجعلك تفهمين عنى ؟ ...

أخبرينى أنت كيف تشعرين الآن ؟ ...

جالاتيا : كيف أشعر الآن ؟ ... هذا سؤال غريب ...

شعورى هو هو ... دائماً كما كان ...

بجماليون: كما كان ؟ ... متى ؟ ...

جالاتيا : بجماليون ! ... لا تسألنى مثل هذه الأسئلة ... هلم

بنا ! ..

(تمهض)

بجماليون: (شارد اللب) أين ؟ ...

جالاتيا : نلهو بعضَ اللهو ...

(تسير فى البهو ... بخطا رشيقة)

بجماليون: (يتأملها فى زهو وخيلاء) حتى قدمها

— ٥٢ —

تخطران ! ... كما قدّر لهما الذهن الخلاق أن

تخطرا !؟ ...

جالاتيا : (تلتفت إليه) بجماليون ! ... قلت لك لا تنظر إلى

هكذا ! ...

بجماليون: لا تمنعني من النظر إليك والإعجاب بك يا

حبيبتى ! ...

جالاتيا : (فى رقة ودلال) أهو الحب إذن ؟ ...

بجماليون: وماذا تظنين غير ذلك ؟ ...

جالاتيا : لست أدري ... إنك تخيفنى قليلا ! ...

بجماليون: أنا ؟ .. لا تقولى هذا أيتها العزيزة ! ... ما الذى

يخيفك منى ؟ ...

جالاتيا : لستُ أدري ... ربما ...

بجماليون: ربما ماذا ؟ ... أخبرينى بكل ما يجولُ فى خاطرك يا

حبيبتى ! ...

جالاتيا : نظرائك ... يخيل إلى أحيانا أنك تعرف عنى أكثر مما

أعرف عن نفسى !

— ٥٣ —

يجماليون: لا أيتها العزيزة!.. ليس يعرف عنك أكثر مما تعرفين عن
نفسك غير ذلك الإله الذى خلقك.. أما أنا... فكما
ترين الآن.. لست لك أكثر من من زوج وحيب!..
جالاتيا : أخبرنى ماذا تعرف عنى ؟ ...

يجماليون: لست أعرف عنك إلا أنك أجمل النساء طراً ... وإنى
لفخور بك ! ...

جالاتيا : (مبتسمة) الآن أحس شيئاً من الطمأنينة إلى
جوارك ! ...

يجماليون: أجل ... أطمئننى ! ... إنى لست لك أكثر من زوج
وحيب ! ...

جالاتيا : نعم ... أنت زوجى الذى ينبغي أن أعيش معه
دائماً ! ...

يجماليون: دائماً ! ...

جالاتيا : أنت زوجى الذى يحمينى من الخوف إذا جئ
الليل ! ...

بجماليون: نعم ! ...

جالاتيا : أنتَ زوجى الذى ينشَط إلى العمل من أجلى إذا طلع

النهار ! ...

بجماليون: نعم ! ...

جالاتيا : يا لى من حمقاء ! ... إنك زوجى منذ ... منذ أن

عرفتك ... ومع ذلك لم يخطر لى أن أسألك عن

عملك ! ...

بجماليون: عملى ؟ ..

جالاتيا : نعم ... ما عملك يا بجماليون ؟ ...

بجماليون: إلى ... إلى ... أصنع تماثيل ...

جالاتيا : (تلتفت حولها) لست أرى هنا تماثلاً واحداً ...

بجماليون: بعثها كلها لأشتري بشمها ! ...

جالاتيا : (تشير إلى جيدها وثيابها) هذه الجواهر والحلى

والأثاث والعطور والهدايا والتحف التى تغمرنى

بها ؟ ... إنك لكريم يا زوجى العزيز ! ...

بجماليون: لقد ادخرتُ مالا كثيراً من أجلك ! ..

— ٥٥ —

جالاتيا : أولا تصنع تماثيل بعد ؟ ...

يجماليون: لن أصنع بعد الآن ! ...

جالاتيا : لماذا ؟ ...

يجماليون: لأنى لا أريد .. وربما لأنى أيضاً لا أستطيع ؛ فلقد

وضعت كل مواهبي وآمالى ومشاعرى فى تمثال واحد

آخر ، لا أحسب قط فى الإمكان أن أصنع ما يدانيه فى

الإبداع ... صنعته ثم ألقيت من هذا الباب بكل

أدوات صناعتي ... فلن أعود أبداً إليها ... إن أعجوبة

الخلق لا تحدث مرتين ؛ لأن القلب الذى أذيب فيه

بأكمله لا يمكن أن يوضع فى خلق سواه ، ما دمت لا

أملك غير قلب واحد ! ...

جالاتيا : (تنظر حولها) وأين هذا التمثال ؟ ... لست أراه

هنا ! ...

يجماليون: لا تسألينى هذا السؤال ! ...

جالاتيا : أبعته إذن ؟ ...

يجماليون: أنا ؟ ... أنا أبيع دمي وذهني وحياتي ونبوغى وقلبي

وحبى !؟ ... ما هو الثمن الذى يرضينى فى ذلك
كله ؟ ... ومن ذا يستطيع أن يدفع ما يجب أن أتقاضاه
فى ذلك كله !؟ ...

جالاتيا : قلبك وحبك ؟ ... إنك لتجبه كثيراً فيما أرى ! ...
بجماليون: وأى حب !؟ ...
جالاتيا : أكثر منى ! ...
بجماليون: لا ... بل .. آه ... ماذا أقول ؟ ... وكيف
أجيب ؟ ...

جالاتيا : (فى غضب) أكثر منى ! ...
بجماليون: (فى تضرع) جالاتيا ! ... لا تضعى الأمور هذا
الوضع ! ... ولا تثيرى فى سماء نفسك الصافية
غمماً ، ولا تجعلى المرارة تفسد من حلاوة هذه
اللحظة ! ...

جالاتيا : لن ترعم بعد الآن أنى وحدى حبيبتك ؟ ...
بجماليون: بل أنت كذلك فى كل حين يا جالاتيا ! ...
جالاتيا : إلى لست كل حياتك وكل قلبك وكل حبك ! ...

— ٥٧ —

بجماليون: بل أنت كذلك ...
جالاتيا : وذلك التمثال الذى تحدثنى عنه ! ..
بجماليون: هو ... هو أيضاً كذلك ! ...
جالاتيا : لا ... لست أريد أن تشرك معى شيئاً ! ... لست
أريد ! ... لست أريد ! ... لست أريد ! ...
بجماليون: (فى ضيق) أيتها الآلهة ! ... أيتها الآلهة ! ...
(... أبولون فى النافذة يسبسم ويهمس فى أذن
فينوس ...)
أبولون : أظن الآلهة لا تستطيع إخراجه من هذا المأزق الذى
أوقع نفسه فيه ! ...
فينوس : (همساً) لا تسخر منه يا أبولون ! ...
(... جالاتيا ترقمى على المقعد باكية)
جالاتيا : أنا التى صدّقت الساعة كلامك لى ...
بجماليون: أتبتكين ؟ ... لا ... لا تفعل ذلك ! ... ستتلفين
هذه الأهداب ... إنك لاتقدرين قيمة هذه
الأهداب ! ... آه .. إنها لا تعرف ما تصنع !؟ ...

(يحاول في يأس أن يجفف دموعها)

جالاتيا : (في تمنع وتدلّل الأطفال) ما شأنك أنت بأهدائي
ودموعي ؟ ...

بجماليون: (في حيرة) ما شأنى أنا ؟ ..

جالاتيا : (تهز كفيها) إني أفعل ما يحلو لى ...

بجماليون: آه أيتها العزيزة جالاتيا ... أتوسل إليك .. أتوسل
إليك أن تحرصى على كل هُدية من أهدابك ، وكل أئمة
من أناملك ... كل شىء فيك ثمين ... ذراعك ويدك
وكفك وفمك وأنفك وخدك ... لست أحتمل أن
أرى خدشاً يصيبك ! .. ولا بعوضة تخزك .. ولا
ذرة من الغبار تقع على جسمك الناصع ... آه .. عفوا
يا جالاتيا ... لست أدرى كيف أفصح عن ...
عن ...

جالاتيا : (تصفر وتشرق) عن حبك لى ؟ ...

بجماليون: أجل ! ... أجل هو ذاك يا حبيبتى ! ...

جالاتيا : (في دلال) نعم ، ادعنى حبيبتك ! ...

— ٥٩ —

بجماليون: دائماً ! ...

جالاتيا : ضمنى إلى صدرك ...

(... بجماليون يسرع ، ويضمها طويلا)

أبولون : (ييسم قليلا ، ويهمس في أذن فينوس) أظن من

سلامة الذوق أن نتركهما الآن في خلوة ! ...

فينوس : (هامسة لأبولون في خيلاء ، وهى تتحرك

للانصراف) ومن سلامة الذوق أيضاً ، أن تعترف

بأنى انتصرت ! ...

الفصل الثاني

(الغابة متشحة بأضواء النهار
الشاحبة ساعة الأصيل ، وقد جلس
بجماليون في بهو داره ، مطرقا كئيبا غير
ملتفت إلى جوقة الراقصات التسع ،
وهن يقبلن من جوف الغابة مقتربات من
النافذة في رقص هادئ بطيء ...)

* * *

الجوقة : (تهمس عند النافذة) بجماليون الحزين ! ...
بجماليون: (لا يتحرك ولا ينيس) ! ...
الجوقة : بجماليون المسكين ! ... أخبرنا متى كان
هروبها ؟ ! ...
بجماليون: (يرفع رأسه صائحا) اغرُبن عني ! ...

الجوقة : إنا نريد لك خيراً ؛ لأنك عرفت الحب ... سنبحث
لك عنها ! ...

بجماليون: لا أريد أن يبحث عنها أحد ! ...

الجوقة : لا تلغنها ولا تمتقها يا بجماليون ! ...

بجماليون: (كالمخاطب نفسه) ليتنى أستطيع ذلك ! ...

الجوقة : تذكر اللحظات التي كنت تقضيها وحيداً فوق هذا
العشب ترقب السماء وقد تذررت بردائها المَحْمَلَّى
القائم ، ونثرت على صدرها حلبيها وآلفها في حراسة
الليل الساجي النائم ؛ لكأنك كنت تحاول أن تحتل
من السماء شيئاً ، وكنا نحن نرقص على مقربة
منك ... وكنا أحياناً نحيط بك دون أن نشعر بنا ...
لقد كنت وقتئذ تفكر في صنعها ...

بجماليون: (في إطراق) واأسفاه ...

(الباب يطرق طرقاً خفيفاً ، ثم يفتح وتظهر

إيسمين ...)

إيسمين : « بجماليون » ! ... أحمل إليك خيراً ... أفضى به

— ٦٣ —

إليك وحدك ! ...

الجوقة : إنّا ذاهبات نرقص بعيداً ! ...

(تبتعد الجوقة في رقصتها الهادئة البطيئة حتى

تختفى ... وتدنو « إيسمين » من

« بجماليون »)

إيسمين : عرفت مقرها ! ... مقرهما ... لقد هربت معه ...

ألا تعلم ؟ ..

بجماليون : (بلا حراك) وكيف أستطيع أن أجهل ذلك ؟ ...

إيسمين : كان يجدر بى أن أتوقع هذا الأمر ! ...

بجماليون : (يرفع رأسه ناظراً إليها) وماذا يعينك أنت منه ؟ ..

إيسمين : نرسيس ، هو ملكى كما هى ملكك ! ...

بجماليون : هى ليست الآن ملكى ! ...

إيسمين : لا تقل هذا يا بجماليون .. قم معى ! ...

بجماليون : إلى أين ؟ ...

إيسمين : إليهما ! ..

بجماليون : ماذا نصنع بهما ؟! ...

— ٦٤ —

إيسمين : لا تخرج صدرى يا بجمال يون .. إنهما فى مكان غير
 ناء ، أتعرف ذلك الغدير فى غابة السرو ؟ ... هنالك
 كوخ على حافة الماء ... (كالمخاطبة لنفسها) آه
 للشقى ... لقد مضى بها إلى المكان الذى أريته
 إياه ! ..

بجمال يون : قلت لك لم يعد لى بها شأن ...
 إيسمين : ليس فى إمكانك التخلي عن مصيرها ...
 بجمال يون : مصيرها الآن بيدها ...
 إيسمين : جالاتيا الجميلة ! ... تلك الآية التى وضعت فيها كل
 ما اكتنزت من فن وحكمة وتجارب ! .. تحفة
 التحف التى أنتجتها عبقريتك الخلاقة ، بعد جهاد
 الليالى والأعوام ... لا ... لن تستطيع ... لن
 تستطيع أن تعيش بغيرها ! ...

بجمال يون : (بعد لحظة) لا أريد أن أسمع شيئاً فى أمرها ...
 إيسمين : (بعد صمت) إني أفهم كل ما بك الآن ... ومع
 ذلك .. أنا موقنة أنك غير حاقد عليها ولا ناقم ! ...

— ٦٥ —

بجماليون: لو أن هذا في الإمكان ! ...

إيسمين : إنك تحبها ...

بجماليون: يا لك من حمقاء ! ...

إيسمين : لست أعنى ذلك الحب ! ... أنا أيضاً كنت أصنع من

نرسيس كائناً آخر ، بمادة من عندي ؛ لهذا لا أستطيع

التخلي عنه ؛ فهو يحمل جزءاً مني ... لعله خير أجزاء

نفسى ! ...

بجماليون: بل هو خيرها جميعاً ! ..

إيسمين : أجل يا بجماليون ... هو كما تقول ! ... لذلك لست

أشعر أنا أيضاً أنى حادثة عليه أو ناقمة ...

بجماليون: كيف ثمقت عملنا الذى صنعنا بخير ملكاتنا ...

إيسمين : كل عجبى هو لانصراف هذه المخلوقات عن

خالقها ! ...

بجماليون: وفيم العجب ؟ ... هل ارتفع مخلوق يوماً إلى فهم

خالقه !؟ ...

إيسمين : عبثاً حاولت أن أفتح قلب نرسيس المغلق ! ..

(بجماليون)

بجمالين: أنا لم أحاول؛ لأنى أدركت أنها لن تفهم عنى ما أقول ... كان ينبغى دائماً أن أحادثها بما تستطيع هى أن تفهم ! ...

إيسمين : حسنا فعلت ! ...

بجمالين: إنى الآن أدرك وسائل الإله العظيم جوبيتر ، عندما كان يحب فتيات من المخلوقات ... لقد كان يتخذ لكل فتاة الصورة التى تفهمها وتروق فى عينيها ! ... هكذا اتخذ شكل بجمة جميلة للرقيقة «ليدا» واتخذ شكل ثور قوى للحسنة «أوروبا» واتخذ شكل قطع ذهبية للفتنة «دانايس» ... بهذا استطاع أن يملك مشاعرهن ! ... الجمال والقوة والمال ... آه ... حتى الآلهة ينبغى لها أن تتذرع بهذه الأشياء للوصول إلى قلب المرأة ! ...

إيسمين : أنت الذى تمنى لآيته وتحفته أن تنقلب امرأة ... ومضيت إلى معبد فينوس تدعوها وتسألها ! ...

بجمالين: (صائحاً) لا تذكرينى بفينوس ! ... لا تذكرينى

بفينوس ! ...

إيسمين : ماذا دهاك ؟! ...

بجمالينون: (ثائراً) هى سبب البلاء ... فينوس هى سبب
البلاء :.. لقد كنت سعيداً ... لقد كانت معى جالاتيا
هنا دائماً ... جالاتيا الأخرى ... جالاتيا الأولى ...
هنا أمامى خلف هذا الستار ... كأنها إلهة خلف
السحب ! ... نعم لقد كانت إلهة ؛ لأنى كذلك
صنعتها ... لقد أخرجتها من رأسى ؛ كما أخرج الإله
جوييتز من رأسه الإلهة منيرفا ... لقد كنت أراها
وتزانى كل يوم ، فيخيل إلى أنها تفهم كل ما يجول
برأسى وقلبى ؛ لأنها منهما كُورت وصورْت ...
إلهان فى سماء واحدة يعيشان ... هكذا كنا .. ولم
يكن أحد يستطيع أن يفرق بيننا .. آه يا فينوس ..
انظرى ماذا فعلت أنتى وبجالاتيا ؟ ... لقد وضعتِ
أنت فى آية الآيات روح هرة : أى روح امرأة ، ذلك
الروح المَلول الطُّرف ! ... لقد جعلتِ هذا الأثر

الرائع ينقلب إلى كائن تافه ... لقد صيرتها امرأة حمقاء
تهرب مع فتى أحرق ! ...

إيسمين : حسبك يا بجماليون ! .. لاأثن الآلهة ! ..
بجماليون: دعيني أقل لهم ما أريد ، دعيني أصارح هؤلاء الآلهة
بالحقيقة !! ... لقد صنعت أنا الجمال فأهانوه هم
بهذا الحمق الذى نفخوه فيه ! .. كل ما فى جالاتيا من
روعة وبهاء هو منى أنا ، وكل ما فيها من سخف وهراء
هو منكم أنت يا سكان أولمب ...

إيسمين : بجماليون ! ... أخشى عليك غضب فينوس ! ...
بجماليون: (ينهض فى المكان ثائراً صائحاً منفجراً) اسكتى أيتها
الحمقاء ! ... لست أخشى فينوس ! ... أين هى
فينوس ؟ ... أود أن أرى وجهها الآن ! ... هل احمر
خجلاً هذا الوجه ، وهو يرى هذه المزمنة
الشنعاء !؟ ... اعترفى يا فينوس أنى انتصرت
عليك ... اعترفى أن التحفة التى خرجت من يدي
مثلاً للكمال فى الخلق والإبداع ؛ قد شابها النقص

بلمسة من يديك ! ...

إيسمين : (في خوف) بجماليون ! ... إني ذاهبة ...
 بجماليون: فينوس ! ... أين تلك التي سألتها الحب فأعطتني
 الشقاء ! ... لقد حسبته تستطيع أن تمنحني شيئاً ...
 لقد كان الحب في يدي دون أن أشعر ... أتركوني أيتها
 الآلهة للمكافئ ... فلست في حاجة إليكم ! ...
 إيسمين : لا تقل ذلك يا بجماليون ؟ ... إني ذاهبة ! ...

(تخرج سريعاً ...)

بجماليون: آه ... ردوا عليّ عملي ! ... ردوا عليّ جالاتيا كما
 كانت ... تمثالا من عاج ! ... أيتها الآلهة ... دعوني
 وشأني ، لنفسي ومخلوقات نفسي ! ... ما أنا إلا
 صنوكم ونظيركم ، بل إني عليكم سموت ، وعلى
 قدرتكم فقط ، فأنتم ما فعلتم غير أن أفسدتم الجمال
 الذي أقمتم ! ... أفسدتم جمالي الخالد ! ... أفسدتم
 جمالي الخالد ! ...

(يرمى على الفراش باكياً وحيداً)

(تضيء النافذة بالنور السماوى وتهبط مركبة

فينوس فى الغابة ... ثم يظهر أبولون وفينوس وهما

يدنوان من النافذة يطلان منها إلى داخل الدار ...)

أبولون : ينبغي أن نعرف أنه على حق ! ...

فينوس : (فى غضب) صه ! ...

أبولون : (باسماً) أرينى وجهك يا فينوس ! ... هل احمر

خجلاً حقيقة ؟! ...

فينوس : هذا رجل غير جدير بهباتى !! ...

أبولون : هو حقاً غير جدير بهباتك ! ... انظرى إلى ما صنعت

به هباتك ! ... ياله من مسكين ! ...

فينوس : أبولون ! ... من العار أن يسخر أحدنا من الآخر —

نحن الآلهة الخالدين — من أجل بشرٍ فان ! ...

أبولون : أو لا ترين من العار أن تُسمى سخريّة بشرٍ فان ! ... نحن

الآلهة الخالدين ؟! ...

فينوس : لست أرى فى الأمر ما يدعو إلى هذا القول ! ...

أبولون : وبماذا تصفين هذه الهزيمة ؟ ...

— ٧١ —

فينوس : أنت أيضاً تسميها هزيمة ؟! ...

أبولون : عجباً ! ... هل تجددين لها اسماً آخر ؟! ...

فينوس : أصغ إليّ يا أبولون ! ...

أبولون : هاأنذا مصغ يا فينوس ! ...

فينوس : إنى أعرف تحديقك القديم لى ... أصغ إليّ بغير تحدّ ،

وبغير تحامل ، وبغير تشفّ ، وبغير تهكم ! ... ألم

يسألنى هذا الرجل لتمثاله الحياة ؟ ... لقد منحت

تمثاله الحياة ...

أبولون : أهذه هى الحياة التى تستطيعين أن تمنحها ؟! ... إن

الحياة الساكنة التى وضعها هو فى العاج كانت أنبل

وأرفع وأقوى من تلك الحياة المتحركة الهزيلة الشاحبة

التي وضعتها أنت فى تمثاله ! ... هذا ما يرى ... ومن

حقه ولا ريب أن يقدر هذا التقدير ...

فينوس : وأنت أيضاً ترى ذلك ؟ ...

أبولون : مع الأسف والاعتذار ! ...

فينوس : هنالك أشياء لا تستطيع أن تراها ... لا أنت ولا

— ٧٢ —

هو ! ...

أبولون : لن تنكرى على الأقل أننا نستطيع أن نرى الشيء

الجميل ! ...

فينوس : وماذا تريدان منى الآن ؟ ..

أبولون : أولاً اعترفى أن عبقريته قد انتصرت ... ثم اسحبى بعد

ذلك ما وضعت فى عمله من عناصر النقص والسخر

باسم الحياة ... ردى عليه — كما طلب — تمثاله

ساكناً كما كان ... نابضاً كما كان بحياة الفن

وحدها ! ...

فينوس : آه ! ... أية مذلة لإله أن يحنى رأسه أمام بشر ! ...

سأفعل ما أريد ... ولكن ...

أبولون : ولكن ... ؟

فينوس : ولكن الحرب بيننا لم تنته بعد ! ...

أبولون : (يلتفت إلى يجماليون المنبطح على فراشه) إنه نائم ..

انظرى ... إنه تحرك قليلاً ... إنه يتقلب .. صوتك

ولا ريب يتمثل له الساعة فى هيئة أحلام مزعجة ! ..

- فينوس : (في غيظ كظيم) وصوتك أنت ؟ ...
- أبولون : صوت قيثارتى هو الذى تمثل له دائماً فى صورة أحلام جميلة ... رعت وروت كل عناصر نبوغه ! ...
- فينوس : (فى ضحكة استخفاف) قيثارتك ؟! ...
- أبولون : نعم قيثارتى ! ...
- فينوس : لماذا أتعرض وحدى لتحدى مثل هذا الرجل ؟! ...
- لَمْ لا تأتى لنجدتى يا صاحب القيثارة الساحرة ! ...
- أبولون : نجذتك ؟ ...
- فينوس : ألا ترى من واجبنا التعاون على إنقاذ سمعة الآلهة ؟! ...
- أبولون : لا تمكرى مكر النساء ! ... ولا تحاولى الزجَّ بى معك ... لقد قلت لك إني لا أحب التدخل فى شئونك الخاصة ! ...
- فينوس : لقد زعمت أنى فشلت وأفسدت ... فلماذا لا تتقدم أنت لإصلاح الأمر ؟ ... لقد أعطيت أنا التمثال حياة تقولون إنها قبيحة تافهة سخيفة ، فمن غيرك يا أبولون

— ٧٤ —

يستطيع أن يجعل هذه الحياة جميلة نبيلة رائعة ! ...

أبولون : إنه لم يطلب إليّ ذلك ...

فينوس : إنه ولا ريب يفضل ذلك ...

أبولون : كلا ... ردى جالاتيا إلى عاج في بساطة كما طلب ...

ولا تعقدى الأمور ! ...

فينوس : ولماذا لا تحاول أن تكمل ما في حياتها من نقص ؟ ...

أبولون : أف يا فينوس ! ... ما دخلى أنا ؟ ...

فينوس : إنك خائف ! ...

أبولون : أنا ؟ .. وم أخاف ؟ .. ليس أيسر عليّ من ذلك ...

فينوس : إذن فافعل ...

أبولون : ليست معي قيثارى ...

فينوس : إنها فى مركبتى ... انتظر حتى آتيك بها ...

(تتجه إلى النافذة وتمد يديها إلى المركبة)

أبولون : (مخاطبا نفسه) أف لها من ثرثرة ! ... يعز عليها أن

تترك الآخرين فى راحة ! ...

فينوس : (تعود بالقيثارة) بم همس ! ..

— ٧٥ —

أبولون : لا شيء ...

فينوس : هاك القيثارة ! ..

أبولون : (يتناول منها قيثارته) أين هي الآن جالاتيسا

هذه !؟ ...

فينوس : إنها على مقربة من هنا .. في كوخ بغابة السُّرو أمام

الغدير مع ذلك الفتى ... نرسيس ! ...

أبولون : يا لها من حمقاء ! .. ككل النساء ...

فينوس : اصنع أعجوبتك ! ...

أبولون : (يضرب على القيثارة)

نغماتي عليها رفيع الكلام ،

ونبيل المعاني ورائع الأحلام !

همساتي تفتحي لها زهرات .

بأريج الفن والفكر عطرات ! ...

بأمرى أسرعى إلى هذا المكان ،

وبقبلاتك أيقظي زوجك بجماليون ! .

فينوس : أتراها الآن عائدة ؟! ..

— ٧٦ —

أبولون : على أجنحة النسيم طائرة ! ..
فينوس : سأبقى لأرى ما يكون !؟ ..
أبولون : فلنشاهد من خلف النافذة ! ..

(فاصل موسيقى)

(يخرجان من النافذة كما دخلا ، ويقفان خلفها
يشاهدان ... وعندئذ يفتح باب الدار في رفق ،
وتظهر جالاتيا كالحجلة ... وتتقدم وهي تبحث
بعينها في أنحاء المكان ، حتى يقع نظرها على
يجماليون ...)

جالاتيا : (في همس عذب) ! .. يجماليون ! ...

يجماليون : (يتحرك قليلا) ! ..

جالاتيا : (تنحنى عليه وتقبله) ! ... يجماليون ! ...

يجماليون : (يفتح عينيه) أنت ؟ ...

جالاتيا : نعم أنا ؟ ... أيرعجك أن أوقظك بقبلاقي ؟! ...

يجماليون : متى عدت ؟ ...

جالاتيا : الساعة ...

— ٧٧ —

بجماليون: ولماذا عدت ؟ ...

جالاتيا : لست أدري ... غير أنه ينبغي لي أن أبقى إلى جانبك يا

بجماليون العظيم ! ..

بجماليون: (وهو يتأملها مليا) بجماليون العظيم ! ...

جالاتيا : نعم.. أتدهش لهذا ؟ ... ألا تعرف نفسك ؟ ...

بجماليون: قليلا ...

جالاتيا : أمّا أنا فأعرفك كثيرا ... أى موسيقى تملأ نفسك الآن

بأشياء لم أكن أدركها قبل الآن ! ... إنك ناقم

على ! .. أرى أنك ساخط على ! ...

بجماليون: لم أسخط عليك لحظة قط ، ولم أنقم ..

جالاتيا : حقاً؟ ..

بجماليون: ثقي بذلك ...

جالاتيا : ابتسم إذن ..

بجماليون: ليس الآن ! ...

جالاتيا : إنك لست فرحاً بعودتي ! ...

بجماليون: ليس للسبب الذى قد يبدو لك ...

— ٧٨ —

جالاتيا : لماذا لا تصارخى بكل ما فى نفسك يا بجماليون ؟ ..
إلى اليوم لست مثلى بالأمس ... إلى الآن جديرة أن
تفتح لى نفسك فأطالع كل سطر فيها ... لأنى الآن
أعرف من أنت ا ..

بجماليون: ماذا تعرفين ؟ .. هو بالطبع نرسيس الذى
أخبرك ا ...

جالاتيا : لا تذكرنى الساعة بنرسيس هذا ا ..

بجماليون: لماذا ؟ ..

جالاتيا : ذاك عهد انقضى .. لقد كنت طائشة حمقاء ا ...

بجماليون: والآن ؟ ..

جالاتيا : لا ..

بجماليون: أواقئة أنت من ذلك ؟ ..

جالاتيا : إلى الآن أرى أشياء يدهشنى ويدهشك أن أراها بمثل

هذه السرعة ا ...

بجماليون: لست أنكر أنه تدهشنى الساعة أشياء كثيرة ! ..

جالاتيا : ومع ذلك هى حقيقة يجب أن نصدقها ! ..

— ٧٩ —

بجمالون: ليس بهذه السرعة يا جالاتيا ... خصوصا فيما يتعلق
بى ... فلنصبر على الأقل حتى يذهب عنى أثر الحلم
الذى رأيت فى النوم منذ لحظة ! ...

جالاتيا : أرايت حلماً ؟ ...

بجمالون: مزعجاً ! .. بجعتين ... تأكل إحداها من قلبى ..
والأخرى من كبدى ...

(... أبولون فى النافذة يلتفت إلى فينوس ...)

أبولون : (باسمها هامسا) بجعتاك ! ...

فينوس : (هامسة غاضبة) صه ! ...

جالاتيا : (لجمالون فى ألم) آه أيها العزيز بجمالون ! ... ألم
أقل لك ينبغى لى أن أبقى إلى جانبك دائما ؟ ! ...

بجمالون: ولكن ... يخيل إليّ أن البجعتين — لحسن الحظ — لم
تتناولا من قلبى وكبدى شيئا كثيراً ! ...

جالاتيا : لماذا ؟ ...

بجمالون: لعلهما تكرهان الطعام الحار ! ...

جالاتيا : (باسمه) آه يا بجمالون الظريف ! ..

— ٨٠ —

بجماليون: أو لعلها ! ...

جالاتيا : ماذا ؟ ...

بجماليون: خيل ألى أيضاً أنى سمعت قيثارة .. ما كادت تنطلق
أنغامها حتى نفرت البجعتان وانطلقتا بعيداً ..
بعيداً ...

جالاتيا : (كالحالة) أنغام قيثارة ! ..

بجماليون: (يلتفت إليها) نعم .. لماذا تغير وجهك ؟ ...

جالاتيا : لا شيء ... لا شيء ! ..

بجماليون: ولكنى لست أخفى عنك أن ما وجدت منك عند
اليقظة كان أعجب من الحلم ! ...

جالاتيا : (حاملة) منى ... حقاً .. لست أدري ...

بجماليون: لست تدوين ماذا يا جالاتيا ؟ ...

جالاتيا : حياى ... أين الحلم فيها وأين الحقيقة ...

بجماليون: حياتك ليست بالطول الذى يستحق التفكير فيما
بعد ...

جالاتيا : أحس مع ذلك أنها طويلة ... أنسىت من أنا ؟ ...

— ٨١ —

يبدو لي أنك نسيت أننا عشنا معا طويلا !...

بجماليون: نعم ... عشنا معا ...

جالاتيا : كم من الأعوام ؟ ...

بجماليون: لست أذكر ... أتذكرين أنت ؟ !! ...

جالاتيا : آه ... أيها القاسي ! ...

(تذهب إلى قرب الستار مفكرة ، وتجلس في إهمال

على قاعدة التمثال مطرقة ...)

بجماليون: ألا تجددين دائماً غير هذا المقعد الرخامي ! ...

جالاتيا : لطالما جلستُ هكذا ... وكنتُ ترنو إلى دائماً

بنظراتك العميقة ... ولكنك لا تذكر الآن شيئاً ! ..

بجماليون: لا تتألمي كثيراً لضعف ذاكرتي ! ..

جالاتيا : لا لهذا ... بل لأنني لا أعرف ماذا أصنع بعد الآن ...

وأنتِ تعاملني هكذا ... إنك لم تخبرني أنك تأملت

عندما أخذت البجعتان تلك القطعة من ...

بجماليون: وماذا يعنيك من ذلك ؟ ... أحسبك لن تزعمي أنك

أنتِ تلك القطعة ...

جالاتيا : كنت أرجو أن تقول : إني كذلك ! ...
 يجماليون: ما دمت تريد أن أقول لك ذلك .. فلا تقل لك
 ذلك .. أنت تلك القطعة .. منها تشكّلت في صورة
 امرأة ! ...

جالاتيا : نعم ... أحس الآن أنك لا تكذب ! ..
 يجماليون: عجباً ... كيف تحسّن ذلك ؟ ..
 جالاتيا : أمن العسير أن أشعر أني جزء منك ؟ ! ..
 يجماليون: أهذا كل ما تشعرين به ؟ ..
 جالاتيا : عندي غير هذا ... ولكن ...
 يجماليون: افتحي لي كل نفسك يا جالاتيا لأطالع كل ما سطر
 فيها ! ..

جالاتيا : لكأنني بك لا تعرف بعد كل خفايا نفسي ... إنك
 لتسألني ما سألتك منذ لحظة .. ولكنك لم تجبني ،
 وأسدلت دوني ستار الصمت ؛ كما يفعل الآلهة مع
 البشر ! ... أجل ... ألا تراه عجيباً أن يطلب الآلهة
 إلى مخلوقاتهم الإفصاح عما في النفوس ، والكشف عما

— ٨٣ —

في الصدور ؟! .. فإذا حاولت هذه المخلوقات أن
تسأل آلهتها عن أنفسهم سكنت الآلهة ولم يحيروا
جواباً ..

بجماليون: لعلهم لا يعرفون ...

جالاتيا : أتظن ذلك ؟ ..

بجماليون: أمن الضروري أن تعرف الصفحات ما في صدرها من
كلمات ، إنما على البشر أن يقرعوا ، وأن يفهموا وأن
يفسروا .. كلٌّ على قدر فطنته وتفكيره وإدراكه ! ..
جالاتيا : كنت أحسب الآلهة يعرفون — على الأقل — مثلما
نعرف ..

بجماليون: أتريدين لهم أن يعرفوا القراءة والكتابة ؟ ...

جالاتيا : بجماليون ! ... أيها العزيز بجماليون ! .. إنك تحاول
منذ عدت أن تخاطبني في إهمال وخفة وقلة احتفال ...
إذا كنت تريد الاقتصاص مني فثق أني قد استوفيت
العقاب ! ..

بجماليون: أنا أعاقبك على أمر لم تقترفه يداك اللطيفتان ؟! .. إني

أعرف المسئول ، وقد أعلنته برأى فيه منذ قليل ..
ولعله أثر إصلاح عمله وإتقان صناعته ! ... ومع
ذلك هذا مستحيل ... عهدي به غير قدير على أكثر مما
صنع ! ... كيف حدث فيك إذن هذا التغيير
السريع ؟؟ ..

جالاتيا : للمرة الأولى منذ عدت لا أفهم ما تقول ! ...
يجماليون: معذرة يا جالاتيا ... لا تلقى بالا إلى قولى ... ذاك
حساب بينى وبين ...
(... أبولون وفينوس يتبادلان نظرة ذات
مغزى ...)

جالاتيا : (تدنو من يجماليون) آه يا يجماليون ! ...
يجماليون: (رقيقاً) ماذا بك أيتها العزيزة جالاتيا ؟ ...
جالاتيا : (ترمي يدها مرأ لطيفاً على صدره) لو استطعت أن
أقرأ كل ما فى صدر هذه الصفحة من كلمات ! ...
يجماليون: يكفىك يا جالاتيا أن تقرأى ما فى صدرك أنت ! ...
جالاتيا : أحقاً؟

بجماليون: ألم تقولى الساعة إنك تشعرين بأنك جزء منى ؟ ..
ارجعى إلى نفسك أنت دائماً وطالعبها تعلمى الشئ
الكثير عنى ! ..

جالاتيا : فى نفسى أشياء جميلة نبيلة ... فى نفسى أنك إله ! ...
بجماليون: أنا ؟ ! ...

جالاتيا : يحيلُ إالىَّ أنك خلقتنى وصنعتنى وجعلتنى كما تتخيلُ
وتشهى ... هذا شعور كالحقيقة الناصعة ، يصعدُ
أحياناً من أعماق نفسى كما يصعدُ النهارُ من جوف
الليل ! ... يحيلُ إالىَّ أنك استلقيت ذات أمسيةٍ
مقمرة ، على العشب الأخضر النضر ، فى هذه الغابة
الناعسة الهامسة .. فحلمتُ حلماً بديعاً .. كنتُ أنا
هذا الحلم .. ما أنا إلا حلمك .. لهذا يخامرُنى أحياناً
ذلك الإحساس الغامضُ عن ماضى حياتى ..
فأتساءل : أنا حلمٌ أم يقظة ؟ .. أنا حلمك دائماً يا
بجماليون أم يقظتك ؟ ...

بجماليون: خلقتكِ ؟ ... من أى شئ خلقتُكِ ؟ ...

جالاتيا : من أشعة فكرك المتألق اللامع ! .. من جواهر ذهرك
الوهَّاج الساطع ! .. من حرارة قلبك التى يضطرم بها
قلبي .. من كل تلك المشاعر الجميلة النبيلة التى تعج
بها نفسى ! ... نعم ... نعم .. ما منبع كل هذا غيرك
أنت ! .. أنت يا زوجى بجمالين ! ...

بجمالين: أمن هذا فقط صنعتك ؟ ...
جالاتيا : أوكل هذا قليل ؟ ... هنالك مع ذلك أسطورة قد
تبسم لها إذا سمعها ...

بجمالين: أسطورة ؟ ! ..
جالاتيا : (باسممة) قيل لى إنك صنعتنى من عاج ! ..
بجمالين: (باسمم) مادة نفيسة كما ترين ! ...
جالاتيا : وأن فينوس نفخت الحياة فى كيانى .. فصرْتُ كما
ترانى ! ...

بجمالين: لم تصدق بالطبع هذا الهراء ؟ ! ..
جالاتيا : لست أدرى ؟ .. لم لا ؟ .. لى أشعر حقاً أنك إلهى
وأنى مخلوقتك .. على أى وجه حدث ذلك ؟ ...

وبأية مادة ؟ .. هذا مالا ينبغي أن أعنى به كثيراً ..
 لعل هذا يعينيك أنت ... وما دمت لا تريد أن
 تصارحني بشيء .. وما دمت تريد أن أكشف أنا كل
 شيء لنفسي بنفسى .. فلا أقف إذن عند هذا
 الحد !! ...

بجماليون: نعم ... يحسن أن تقف عند هذا الحد ! ...
 جالاتيا : ومع ذلك .. تستطيع أن تخبرني الآن دون أن تخشى
 شيئاً ! ...

بجماليون: أعلم .. أعلم أنك الآن امرأة أخرى ! ..
 جالاتيا : لست أنسى أنك البارحة كنت تخشى أن تخاطبني بما لا
 أفهم ؛ لأنني كنت أخاف ذلك ... نعم ! ... لست
 أكنمك أني كنت أخاف منك ! ...

بجماليون: والآن ؟ ...

جالاتيا : لا ... لست أخافك ؛ لأنني أحبك .. وأحبك لأنني
 عرفتك وعرفت نفسي بعض المعرفة ! ...

بجماليون: (ينظر إليها في عجب وإعجاب ويهمس) أيتها

— ٨٨ —

الآلهة !.. أيتها الآلهة !..

جالاتيا : لماذا تنظر إليّ هكذا يا پجماليون !..

پجماليون: أصغى إليّ مليّاً يا جالاتيا ؟ .. أقول لك أول مرة قولاً

يصعد من أعماق قلبي كما تصعد الشمس الحارة

المضيئة ... وإنك لتحسين مثله ولا ريب في أعماقي

قلبك .. أنت يا جالاتيا جديرة بي ... وبجبي ! ..

جالاتيا : (تركع وتضع رأسها في حجره) معبودي

پجماليون !.. معبودي پجماليون !..

پجماليون: (ينحنى فيقبلها) ؟ ..

(... أيولون يمسك بقيثارته ، ويعزف)

جالاتيا : (ترفع رأسها) نفسي تحيش بموسيقى رائعة !..

پجماليون: (مصغياً) نعم !.. نعم ! ..

جالاتيا : أسمعها ؟..

پجماليون: إنها تذكرني باللحظة التي حلمت بك فيها ! ..

جالاتيا : لكانها أنغام قيثارة !..

— ٨٩ —

بجماليون: آه .. عرفت الآن .. فهمت كل شيء ... أدركت
كل شيء! ...

جالاتيا : ماذا ؟ ... ماذا يا بجماليون ؟ ...

بجماليون: شكراً لك يا أبولون ! ... شكراً لك يا أبولون ! ...

(فينوس يرتسم على وجهها الغيظ ...)

فينوس : (تجذب ذراع أبولون في عنف) هلم بنا .. هلم

بنا ... قد أضعنا وقتاً طويلاً هنا ! ...

أبولون : (باسمها) ألا ترين من الإنصاف أن تعترفي بأني

انتصرت !؟ ..

الفصل الثالث

(الغابة تحت ضوء القمر في شطره
الأخير وقد جلس في بهو الدار نرسيس
وهو مطرق مهموم وأمامه إيسمين ..
وهما غير حافلين بجوقة الراقصات التسع
وهن يتضاحكن ويلقطن .. وقد طفق
بعضهن يتأرجح على الأغصان المدلاة ..
والبعض يرقص رقصاً سريع الإيقاع
مرح النغم !

إيسمين : الأمر لا يحتاج إلى كل هذا الإطراق والتفكير ؟ ..
نرسيس : (يرفع رأسه ويحدجها بنظره) إيسمين ! ...
إيسمين : أجل .. حادثئسى ! ... إن الحديث قد يسرى

— ٩٢ —

عنك !...

نرسييس : (يلتفت إلى النافذة) ما كل هذا الصياح والضحك

والضجيج ؟! ..

إيسمين : (تتجه إلى النافذة) لو نأيتن قليلا ... إن الغابة

متسعة الأرجاء !...

الجوقة : نحن نحتفل بهناء بجماليون !...

إيسمين : إنه ليس هنا الآن ...

الجوقة : إنه لابد عائد معها الآن ! ...

إيسمين : لا يدري أحد متى يعودان !... إنهما منذ ليالٍ في

الكوخ بغابة السرو عند الغدير !...

الجوقة : في الكوخ عند الغدير ! ... فلنذهب إليهما ! ..

إيسمين : نعم .. احملن أجمل أغانيكن وأبدع رقصاتكن إلى

هذين السعيدين ! ...

الجوقة : وخير ما جمعنا لهما من زهور برية نثره على جسديهما

المتعانقين ! ...

(ينصرفن راكضات كركض الغزلان

(النافرات ...)

إيسمين : أيها العزيز نرسيس ... إني مصغية إليك ! ..

نرسيس : أترينه غاضباً عليّ كثيراً يا إيسمين ؟ ..

إيسمين : لماذا يغضب عليك ، من ذا يحملك تبعه ما

حدث !؟ ..

نرسيس : أقسم لك إنها هي التي ...

إيسمين : اختطفتك .. أعلم ذلك .. ولا يمكن أن يكون الأمر

غير ذلك ! ..

نرسيس : أجل ! .. لقد قالت لي في غيبة بجماليون : « هلم بنا

نخرج إلى الغابة ! .. نلعب ونقفز ونجري ونسابق كما

تفعل أيائل الغاب ! .. » فقلت لها : « لا أستطيع

حتى يأذن لي بجماليون .. » فجذبتني من ذراعي

جذبا .. وجعلنا نجرى ..

إيسمين : حتى بلغتما غابة السرو ! ..

نرسيس : نعم ! ... عند الكوخ الذي علمتني أنت

موضعه ! ...

— ٩٤ —

إيسمين : وطفقتما تلعبان كطفلين أمام الغدير الذى طالما كنت
تنحنى متأملا صورتك فى صفحة مائه الرائق ! ..

نرسيس : نعم .. لعبنا حتى غلبنا النعاس ! ..

إيسمين : ولما استيقظت لم تجدها إلى جانبك ! ..

نرسيس : لقد قلت فى نفسى لعلها ضلت فى الغابة ، أو لعلها
عادت إلى الدار ! .. وفى الحالين لم أجرؤ على لقاء

بجماليون ! ..

إيسمين : ولكنك جرؤت على لقاء فبحشت عنى فى كل

مكان .. لماذا ؟ ..

نرسيس : نعم يا إيسمين .. لأنك تستطيعين أن .. أن تشيرى

على بما ينبغى أن أفعل ..

إيسمين : أخبرنى يا نرسيس ولا تكتمنى أمرا : كيف شعورك

نحوها ؟ ...

نرسيس : لست أفهم ما تقصدين !؟ ..

إيسمين : لقد عادت إلى بجماليون وكلها حب له ، وكلها

إعجاب .. لكأن الآلهة قد صبتّها فى تخلق جديد ..

إنهما الآن متحابان متفاهمان .. لكأن فينوس وأبولون
يتنافسان في إغداق كنوزهما على هذين الزوجين
السعيدين ! .. ما وقع كل هذا في نفسك الآن ؟ ...
نرسييس : لا شيء ! .. إني ما كنت أود أن تترك الدار لحظة ..
وما كنت أنا في حاجة إلى اللعب معها في الغابة ! ..
إيسمين : أهى عندك امرأة مثل كل النساء ؟ ..
نرسييس : امرأة ؟ .. ما أعجب قولك هذا عن جالاتيا ! ...
امرأة .. تلك التي طالما جلست أحرسها وهي تمثال
من عاج فوق هذه القاعدة من الرخام ! .. امرأة ! ..
تلك التي طالما نفضت عن صدرها وكفها ذرات
التراب ! ..

إيسمين : ولكنها الآن ..
نرسييس : إنها دائماً تلك اللعبة التي شاهدت بعيني صنعها .. إني
لأدهش كيف يستطيع يجماليون أن يحب هذا الشيء
الذى صنعه بيده ! .. لا تضحكى مني يا إيسمين إذا
قلت ذلك .. إني وأنا طفل كنت أقف على حانوت

رجل يصنع عجلات سباق خشبية صغيرة
للأطفال .. لها خيول تجرها من الخشب .. ولقد صنع
ذات مرة حصانا يهز رأسه كأنه حي ... ففجبت له
يومئذ عجباً مماثلاً لعجبي يوم رأيت جالاتيا تتكلم
وتمشى لأول مرة .. لقد جرينا نتسابق في الغابة ، وأنا
أنظر إليها ضاحكا ذاكراً ذلك الحصان الخشبي ! ..

إيسمين : يالك من طفل .. دائماً ! ..

نرسييس : أخبريني يا إيسمين لماذا أحس الآن أنى فى حاجة إليك
دائماً ؟ ! ..

إيسمين : لأشير عليك بما ينبغى أن تفعل ! ...

نرسييس : نعم ... بل ليس من أجل هذا وحده .. أود أن أقول
لك شيئاً آخر ! ..

إيسمين : (فى بعض اضطراب) لا تقل الآن ! .. لا تقل
الآن ! ..

نرسييس : إنك تخشين ألا أحسن الكلام ! ...

إيسمين : ليس هنالك ما يدعو إلى العجلة ! ..

نرسيس : إنك سيئة الظن بي ! ..

إيسمين : فلتحدث فيما جئنا له .. فلتحدث عن
بجماليون ! ..

نرسيس : إنك مضطربة يا إيسمين ! ..

إيسمين : لا .. مطلقاً .. إنما أريد أن أشير بما يجب عليك ! ..

إني أعلم مكان بجماليون من نفسك ، فهو الذى
وجدك طفلاً رضيعاً عند جدول من جداول هذه
الغابة ، فأواك وأرضعك من لبن الماعز ورباك .. على
أنى أرى خير ما تفعل هو أن تلزم الصمت ؛ فهو
يعرفك كما أعرفك ! .. ولم يخطر قط بباله أنك أتيت أمرا
يدعو إلى اللوم والتأنيب .. ثم إنه مشغول عن كل هذا
الآن .. إنه فى حاجة إلى النسيان ! ..

فلندعه ينسى من كان وما كان .. حتى لا يعيش إلا لها وبها
هذه اللحظات التى طالما تمنّاها .. ولنحذر من أن
نفسد عليهما هذا الهناء ، أو نلقى — بمجرد
حضورنا — غماماً على وجه هذا الصفاء ! ..

(بجماليون)

— ٩٨ —

نرسييس : أصبت ! .. لا ينبغي أن أراه الآن ...
إيسمين : وإذا رأيته فلا تذكره بشيء ؛ فهو لابد قارىء في عينيك
براءة الطفل الوداع الجميل ! ..
نرسييس : حسبك يا إيسمين ! .. كفى ! .. أنت تعلمين أنى لم
أعد طفلا ! ..

إيسمين : منذ متى ! ..
نرسييس : منذ .. منذ .. ولكنك تحرمين على أن أتكلم ..
إيسمين : (تسد فمه بيدها في لطف) نعم .. أغلق هذا الآن يا
نرسييس ! ...

نرسييس : (يسحب يدها عن فمه بلطف ويلثمها) هذه اليد
تحشى أن تفتح الصدفة البراقة لكلا تجدها خالية من
اللؤلؤة ! ..

إيسمين : عجباً .. من علمك هذا ؟ ..
نرسييس : أتخسبين أنى نسيت كلماتك ؟ .. لم أنس قط كلمة
من كلماتك .. أتعلمين يا إيسمين لماذا ذهبت أبحث
عني في كل مكان ؟ ! ..

— ٩٩ —

إيسمين : صه ! .. لا تقل شيئاً بعد .. يكفيني ما سمعت ! .. لا

تزد ! .. لا تزد ! ..

نرسييس : بحثت عنك ؛ لأني .. وجدت أني لم أعد دمية تلعب

مع الدُّمى ! ...

إيسمين : حقاً ؟ ! ..

نرسييس : وعنك أنت وحدك بحثت .. لأني أحسست أني أحمل

جزءاً كبيراً منك هنا ..

(يشير إلى صدره وقلبه ...)

أيسمين : أنت تحس هذا وتقله ؟ .. وافرحتاه ! ..

نرسييس : تلك الزهرة المقفلة التي كان لابد لها من قطرات الندى

لتتفتح ! ...

إيسمين : أو تساقطت هذه القطرات ؟ ...

نرسييس : من عينيك .. يوم فاجأتكِ ذلك المساء تبكين ...

فسألتكِ عن بكائك فقلت :

لفراق جزء من نفسك هو خيرها عندك ، حملها

أحد الناس وذهب .. فسألتكِ عن هذا الرجل أهو

— ١٠٠ —

يعرف ما حمل ؟ .. فقلت :

« ليس من الهين أن يعرف ، ولكنك لن تقنطلي

منه .. فهو لابد شاعر يوما بما يحمل .. لأن الإنسان لا

يستطيع أن يجهل طويلاً أنه يحمل شيئاً ثميناً ... »

إيسمين : أنا قلت لك هذا كله ؟ ...

نرسييس : لقد كنت تتكلمين في همس ؛ كأنما الألفاظ تخرج من

قلبك ؛ عن غير طريق شفتيك ! ...

إيسمين : كيف رأيت هذا ؟ ..

نرسييس : لست أدري .. لقد شعرت عندئذ بذلك الحمل

الثمين ! ..

إيسمين : وكيف كتمت عني كل هذا ؟ ...

نرسييس : عجباً لك يا إيسمين ؟ .. كيف أتكلم وأنت دائماً

تضعين يدك على فمي ! ..

إيسمين : ما كنت أصدق ! ..

نرسييس : أنا أيضاً ما صدقت بادی الأمر كل ما بي ، ولكنه شيء

أقوى مني ! ...

— ١٠١ —

إيسمين : نعم .. إنه دائماً .. شيء أقوى منا كثيراً ! ...

نرسييس : أتدريين لماذا ؟ ..

إيسمين : تكلم أنت يا نرسييس ! .. تكلم ..

نرسييس : لأنه يجعلني أرى ما لم أر من قبل ! ..

إيسمين : ماذا ترى الآن يا نرسييس ؟ ..

نرسييس : أخبريني يا إيسمين .. هل كنت دائماً كذلك ؟ ..

إيسمين : وما قيمة ما كنتُ ؟ .. إنى أكون عندما يفتح قلبك

ليرائى...

نرسييس : هلمى بنا يا إيسمين ! ...

إيسمين : إلى أين ؟ ..

نرسييس : إلى أى مكان .. أنا أيضاً ينبغي لى أن أنسى من كان وما

كان .. حتى لا أعيش إلا لك وبك ! ..

إيسمين : هلم بنا يا نرسييس العزيز ! ..

(يمضيان نحو الباب وهما شبه متعانقين ... يظهر

أبولون و فينوس فى النافذة)

إبولون : (همساً لفينوس مشيراً إلى إيسمين الخارجة)

— ١٠٢ —

انظري ! ... من هذه المرأة ؟ ..

فينوس : امرأة قد استطاعت أن تخلق بالحب !! ..

أبولون : عجباً ! .. كما استطاع بجماليون أن يخلق بالفن !! ..

فينوس : كما ترى ..

أبولون : امرأة فانية ! ...

فينوس : (باسمه) .. هنا السر ! ..

أبولون : ما قوة الحب التي يستطيع بها هو أيضاً أن يخلق ؟ ..

فينوس : (في زهو وخيلاء) هنا سرنا ! ...

أبولون : (بعد لحظة) ما أجدر أحدهما بالآخر ! ... إنهما من

طراز واحد ! ...

فينوس : طراز الخالقين ! ...

أبولون : أتساءل لماذا لم يحب أحدهما الآخر ؟ ..

فينوس : ولماذا نحن لم يحب أحدهنا الآخر ؟ .. يا أبولون لقد

شغفت أنت بكليمن ، وهى من فصيلة

المخلوقين !! ..

أبولون : وشغفت أنت بأدونيس ، وهو بشر فان ؟ ..

— ١٠٣ —

فينوس : لا تعجب إذن أن يحب إله مخلوقه .. إني لأراه طبيعياً
 هذا الحب بين نوعين مختلفين ! .. بل لعل هذا هو
 الوضع المعقول ، مخلوقاتنا هي صنعتنا .. إنما نعجب
 بصنعتنا في هذه المخلوقات .. بل هي شيء منا .. إنما
 نولع بصورتنا ونهيمُ بأنفسنا في هذه الكائنات ! ...
 أبولون : يا للخجل ! .. لا تقولى ذلك يا فينوس بهذه
 الصراحة ! .. إنها الأثرة إذن وحب الذات ! ...
 فينوس : ما نحن إلا سجناء هذه الذات ! .. وأنت الذى قالها
 قبلى يا أبولون ... ألا تذكر ؟ .. أأنت القائل إن
 بجماليون استطاع ما لم نستطع ، فسما على ذاته ،
 وحطم أسوارها يوم أبدع — وهو الهالك — ذلك
 الخلود ! ..

أبولون : لست أدري هل يحتاج لى أن أقول ذلك عنه اليوم ؟ ! ..
 إنه يفعل الآن مثلنا ! .. يسجن ذاته في حب مخلوق
 من صنع يده .. لقد نجحنا فى قص أجنحة سمّوه ..
 لقد هبطنا به إلى مستوانا .. لقد حبسنا تحليقه غير

— ١٠٤ —

المحدود في كيان محدود... نعم .. إلى أستطيع اليوم أن
أقول إنا انتصرنا عليه ! ..

فينوس : وأى انتصار !؟ ..

أبولون : ولكن .. يجب أن تعترف أن الفضل لى ! ..

فينوس : عفواً يا أبولون .. عفواً .. بل الفضل لى أنا ! ..

أبولون : يا لنكران الجميل ! .. قلت لك إنه طبع المرأة يحتم أبدأ
في أعماق نفسك ! ..

فينوس : نكران الجميل؟ .. أى جميل ؟ ..

أبولون : ألم تطلبى المعونة .. وتسألى المدد ، وتلحى على فى
التدخل لإنقاذك مما وقعت فيه !؟ ..

فينوس : لم أطلب إليك إنقاذاً ، وإنما دعوتك إلى إظهار
براعتك .. هذا كل ما فى الأمر ! ..

أبولون : براعتى ! .. فليكن الأمر كما تقولين .. ها هى ذى
النتيجة .. نجاح ليس بعده نجاح ! ..

فينوس : عفواً يا أبولون عفواً !.... ليس كل هذا النجاح
لك ! .. لا تتجاهل ما صنعت أنا أيضاً بعد ذلك ! ..

أبولون : بعد ذلك ؟ ! ..

فينوس : أو كنت من الحمق بحيث أتركك وحدك كما تركتني
أول الأمر .. إنك حقاً جعلت جالاتيا تفهم بجماليون
وتعجب به .. هذا كل ما تستطيع أنت .. هل تستطيع
أنت أكثر من هذا ؟ ..

أبولون : وماذا صنعتِ أنتِ إذن بعد ذلك ؟ ..
فينوس : كل هذا الحب الملتهب الذى يغيرهما الآن بلذاته ومُتبعه
ومسراته .. كل ما عندى من حيلة بذلتها .. وكل ما
عند كيوييد من سهام أمرته فرشق بها جسديهما ! ..
أبولون : عجباً ! ... إذن كنا نتبارى فى حشد ما لدينا من
سلاح ! ..

فينوس : إنها كما تعلم كانت الموقعة الأخيرة ! ..
أبولون : أجل ! .. لم يبق إلا أن يقر لنا بالفضل وهو جاثٍ على
ركبتيه ! ..

فينوس : بى شوق أن أرى وجهه المشرق بالسعادة ! ..
أبولون : سترينه بعد لحظة .. إنهما الآن فى طريق العودة ؟ ..

— ١٠٦ —

فينوس : سعادته هي من صنعى .. لقد استحققت بحوره
وقرايينه ! ..

أبولون : لو كانت لديك ذرة من العدالة والإنصاف ! ..
ولكنهما ليسا في طبيعتك ! ..

فينوس : من صنعنا .. أنا وأنت .. ما دام هذا يرضيك ! ..
أبولون : أو لم نقل إننا تعاونا .. ؟

فينوس : طبعاً ! .. طبعاً ! .. طبعاً ! .. صه ! .. إنها
قادمان ..

أبولون : لا تدفعينى هكذا بمنكيك .. فى المكان متسع ! ..
فينوس : صه ! .. أريد أن أرى بسمه الهناء تملأ فمه ! ..

(يفتح الباب ويدخل بجماليون وخلفه جالاتيا وهما
صامتان فاتران)

بجماليون: (يتشاءب تشاؤماً طويلاً) ؟ ..

أبولون : (همساً لفينوس) هذه علامة لا تسر ! ..

جالاتيا : (فى عتاب) ما هذا يا بجماليون ؟ ..

بجماليون: (وهو يجلس على مقعد فى تراخ وكسل) المذرة ! ..

— ١٠٧ —

جالاتيا : (تفحص بيدها الرياش والأثاث) ما أقذر

الدار ! .. منذ غادرناها وهى مهملّة ! .. انظر لقد

تراكم الغبار على الفراش ! ..

بجماليون: (لا يبدو عليه أنه معنى بكلامها) ؟ ..

جالاتيا : (تتجه إلى أحد أركان الدار وهى تقول كالمخاطبة

نفسها) أين المكنسة ؟ ..

بجماليون: (يفيق ويلتفت إليها) ماذا تقولين ؟ ..

جالاتيا : لا شيء .. لست أحاطبك أنت ..

بجماليون: حسنا فعلت ! ...

جالاتيا : (تلتفت إليه دهشة) بماذا ؟ .. بعدم مخاطبتى

إياك ؟ ..

بجماليون: لست أقصد ذلك .. تكلمى إذا شئت ..

جالاتيا : (وهى تكنس) لا يبدو عليك قط أنك فى اشتياق إلى

حديثى ! ...

بجماليون: أتكنسين الآن ؟ ..

جالاتيا : أتظن فى الإمكان أن نعيش هكذا بين هذا الغبار ؟ ..

— ١٠٨ —

بجماليون: (يتأملها ملياً ، ويقول كالمخاطب لنفسه) آه .. وفي
يدها مكنسة ! ...

جالايا : (تلتفت إليه) ماذا تقول ؟ ..

بجماليون: لا شيء ! ... لا شيء ! ...

جالايا : ألك في أن تصنع الآن شيئاً مفيداً ؟ ..

بجماليون: ماهو ؟ ..

جالايا : انتقل بمقعدهك إلى هذا الركن النظيف الذى فرغت من
كنسه ! ..

بجماليون: أف ! ..

(ينهض بمقعده إلى جهة أخرى)

جالايا : عفواً إذا كنت قد كلفتك كل هذا الجهد ! ..

بجماليون: لماذا هذا التهكم ؟ ..

جالايا : أنا تهكمت ؟ .. أرجو منك أن تعلم أن كلامى لك

ينطوى دائماً على أجمل معانى التقدير ! ..

بجماليون: معانى التقدير لمحتها في عينيك هذا الصباح ، وأنت

تنظرين إلى أولئك الخطايين في الغابة ، والعرق يتصبَّب

— ١٠٩ —

من جباههم ! ..

جالاتيا : كل كيدٍ جديرٍ بالتقدير ! ..

بجمالين: كل زوجة لا تستريح حتى ترى جبين زوجها يتعفر
بتراب العمل والشقاء ... إنك تعرفين أنى لست في
حاجةٍ إلى أن أعمل وأشقى ..

جالاتيا : ومن ذا يطلب إليك ذلك ؟ ..

بجمالين: نظراتك وإشاراتك ...

جالاتيا : إنك صرت ملولاً شديد السأم يا بجمالين ! ...

بجمالين: بل إنى لشديد الصبر أكثر مما ينبغى ..

جالاتيا : ولماذا أكثر مما ينبغى ؟ .. ما يرغموك على الصبر
إرغاماً ؟ ! ..

بجمالين: (في حدة) ماذا تريد أن أصنع ؟ ..

جالاتيا : بجمالين العزيز ! .. أخرج كل ما في صدرك من
أشياء .. إنى أحس أنك في ضيق .. وأنتك تحاول أن
تخفى عني ضجرك .. لا تكتمنى شيئاً من أمرك يا
بجمالين ! .. ثق أنى لن أغضب عليك ... فأنا لا

شئ يغضبني عليك ، وثق أنى سأفعل المستحيل لأرد
الراحة إليك ، فأنا لا عمل لى فى الحياة إلا أن أعطيك
الراحة والطمأنينة والهناء ... أحياتى غرض آخر غير
هذا ؟ ..

بجماليون: (يهدأ قليلا) شكراً لك يا « جالاتيا » العزيزة ! ..
جالاتيا : (تدنو منه) إنك فى حاجة إلى الراحة .. الإقامة فى
الكوخ لا تلائمك .. هنا يا بجماليون أعرف كيف
أحيطك بكل عنايتى ! .. من يدرى لعل شمس الغابة
التي كنا نتعرض لها طول النهار ! ..

بجماليون: كلا ... ليست الشمس ! ..
جالاتيا : (تضع خدها على جبينه) جبينك حار بعض
الشئ ! ..

بجماليون: أترين ذلك ؟ ..
جالاتيا : (تجس يديه) ويداك أيضاً .. يجب أن أعد لك
فراشك لتأوى إليه ! ..

بجماليون: الآن .. لا .. لا أريد النوم الآن ! ..

— ١١١ —

جالاتيا : لا تنم إذن .. استلق بجسمك على الفراش .. وأنا ..
أحضر إليك شراباً من عصير الفاكهة ... وأجلس عند
قدميك هكذا .. أحادثك حتى تنام ! ...

بجماليون: (يعبث بشعرها وهي جاثية عند قدميه) ما أطيبك يا
جالاتيا ! .. إني أحبك .. نعم .. أحبك على الرغم
من كل شيء ! ..

جالاتيا : (ترفع عينها) على الرغم من كل شيء ؟ .. ماذا
تعني !؟ ..

بجماليون: لست أعنى شيئاً .. إنما هي كلمات نلفظها دون أن
ندري لماذا لفظناها ...

جالاتيا : أنا أدري لماذا لفظتها ؟ ..

بجماليون: لا أظن أنك تدرين بما لا أدري به أنا نفسي .. لا تشغلي
بالك أيتها العزيزة بما تلفظ الأفواه من كلمات .. إنما
جعلت لنا هذه الفوهة لنخرج منها دخاناً من
الحماقات ! ..

جالاتيا : دخان ينذرنا أحياناً بما في جوف البركان ! .. ومع

ذلك .. سأفعل ما تريد .. لن أشغل بالي بغيرك
أنت ! ..

يجماليون: وحتى هذا .. لا تغالى فيه ! ..
جالاتيا : آه يا عزيزى يجماليون ! .. ألم أقل لك إنك تتبرم بكل
شئ الآن ! .. حتى بحبى لك ..
يجماليون: هذا غير صحيح ! .. إنى أمنعك عن التحدث
هكذا .. إنك لتزيدين فى ألى بمثل هذا الكلام ..
جالاتيا : أزيد فى ألك لو أنى كنت جديرة أن تخبرنى بهذا
الألم !؟ .. متى تأذن على الأقل فى أن أضمد جراح
نفسك ؟ ..

يجماليون: جراح نفسى ؟ .. من الذى أخبرك أنى جريح ... وأنى
متألم ؟ ... هل شكوت ؟ ... هل توجعت ؟ ...
من أين تأتين بهذه الهواجس والأوهام !؟ ..
جالاتيا : (تنهض وتعود إلى مكنتها) سأفعل ما تريد ..
سألزم الصمت ... إنى ولا ريب أسأت الفهم ! ..
يجماليون: إنّا دائما نسيء فهم أنفسنا .. خير الأمور — فيما

— ١١٣ —

أرى — ألا نطلب هذا الفهم أو نحاوله إذا أردنا لأنفسنا
السلام ! ..

جالاتيا : لن أحاول .. إذا جعت فأخبرني لأهبي لك الطعام ..
يخيل إلي أن في مقدوري أن أبتدع لك لونا منه لم تذق
مثله .. إنه من مختلف الخضر ، منسقة تنسيقاً تُسرُّ له
العين قبل أن يستسيغه الفم ! ..
(لحظة صمت ...) ..

بجماليون: (وهو في إطراقه) ما رأيك في أن أعود إلى
العمل ؟ ! ..

جالاتيا : (تلتفت سريعا) العمل ؟ ..
بجماليون : (كاتخاذ لنفسه) هو الذي يُشعر الإنسان بأنه لم
يلق السلاح بعد ..

جالاتيا : (تنهد) آه .. يا بجماليون ! ..
بجماليون: (يرفع رأسه) ماذا تقولين أنت في ذلك ؟ ..
جالاتيا : لقد حسبت أنه خير علاج لما أنت فيه .. لكن افعل ما
يروق لك ! ..
(بجماليون)

— ١١٤ —

يجماليون: ماذا أعمل ؟ .. إني لن أصلح بالطبع خطّاباً في
الغابة ! ...

جالاتيا : إنك خالق ! ...

يجماليون: نعم ! ... وأين هي الآن أدوات الخلق ؟ ...

جالاتيا : ماذا ينقصك ؟ .. ها هي ذى القاعدة !! .. ضع
عليها كتلة من الرخام ... أو من العاج ! ..
يجماليون: صه أيتها المرأة ! ...

(يضع رأسه بين كفيه ...)

جالاتيا : أتراني أسأت القول يا يجماليون العزيز ؟ ...

يجماليون: آه ... ليت هذا وحده يكفى لأن نسوى مخلوقاً
فنياً ! ...

جالاتيا : لديك العبقرية دائماً ...

يجماليون: العبقرية ؟ .. نعم ... بجوادها الطائر قوى الجناح
المخلق في سماء غير متناهية الأطراف ! ...

جالاتيا : لديك هذا الطائر يا يجماليون ! ..

يجماليون: ربما .. ولكن أين هي السماء ؟ ...

— ١١٥ —

جالاتيا : ماذا تقول ؟ ...

بجماليون: ما فائدة الطائر بغير سماء ! ..

جالاتيا : فهمت ما تعنى ... يا للكارثة ! ...

بجماليون: نعم .. إنها الكارثة ! ..

جالاتيا : أخشى أن أكون أنا السبب يا بجماليون ! ..

بجماليون: لا .. بل .. بل ...

جالاتيا : بل ... من ؟ ...

بجماليون: (كاتخاطب لنفسه) أولئك الذين استطاعوا الإتيان

بهذه المعجزة : أن يحولوا السماء إلى سقف ، وأن

يجعلوا الجواد الطائر يصفق بجناحيه داخل حجرة ! ..

هذا هو كل انتصارهم ! ..

جالاتيا : عمن تتكلم يا بجماليون ! ..

بجماليون: (صائحاً ثائراً) أولئك الذين سلبوني فنى ..

جالاتيا : ولكن فك باقى ! ..

بجماليون: أين هو ؟ .. أين هو ؟ ..

جالاتيا : لقد صنعت فى الفن أثراً ..

— ١١٦ —

بجماليون: أين هو ؟ ... أين هو هذا الأثر ؟ .. أين هو ؟ ..
جالاتيا : آه .. ليس من السهل علىّ أنا أن ...
بجماليون: هذا الأثر هو ... أنت .. أليس هذا ما تقصدين ؟ ..
جالاتيا : ذلك ما كنت أظن ...
بجماليون: لا ! ..
جالاتيا : لا ؟ .. لستُ أنا جالاتيا ؟ ..
بجماليون: لست أنت أثري الفنى .. إني لم أصنع امرأة في يدها
مكنسة ! ...
جالاتيا : (تنظر إلى المكنسة في يدها وتداريها في خجل وألم)
آه ! ..
بجماليون: (يهدأ قليلا) معذرة يا جالاتيا ... إني آسف كل
الأسف .. إني لم أرد إيلا ملك ولا إيذاءك .. ولم يخطر
على بالي الانتفاص من تقديري لك واحترامى إياك ..
إنما إنما ..
جالاتيا : لا تهتم لأمرى يا بجماليون .. إني أفهم مرادك ، وأدرك
ما يجول في خاطرك ! ..

— ١١٧ —

بجماليون: يا زوجتى المحبوبة .. إنك خير زوج ، وأصلح رفيق ،
وأصدق صديق ! ..

جالاتيا : نعم .. ولكنى لست عمك الفنى .. إنك لعل صواب
يا بجماليون ! ..

بجماليون: ليس الذنب ذنبك يا جالاتيا .. إنها الحياة .. جعلتك
كما أنت الآن ! ...

جالاتيا : أقل جمالا من أترك الرائع ! ..

بجماليون: إني أحبك على الرغم من ذلك ..

جالاتيا : نعم .. ولكن .. حبٌ فقيرٌ بخسٍ عقيم .. حب خليق
بالحجرة المغلقة والسماء التى يحدها سقف .. حب لن

يفنيك عن ... عن .. جالاتيا الأخرى ! ..

بجماليون: (يضع رأسه بين كفيه) ! ..

جالاتيا : (تمر بأناملها على شعره فى حنان ومودة) يؤلمنى أن

أراك حزينا يا بجماليون ...

بجماليون: (كالتخاطب لنفسه) نعم أنت زوجتى المحبوبة ..

ولكنك لست .. أترى الخالد ! ..

جالاتيا : يسرنى أيها العزيز أن تعلن إلّى هكذا كل خلجات
قلبك ! ..

بجماليون: وفيهم المكابرة ما دمت قد شعرت بما يكاد يمزق نفسى
قطعتين .. ويشطرها شطرين .. نعم .. أنتم الاثنان
تتجاذبان قلبى .. أنتم الاثنان تتصارعان .. هى
بارتفاعها وجمالها الباقي .. وأنت بطيبتك وجمالك
الفانى .. هى الفن ، وأنت الزوجة ! ..
أيها الآلهة ! .. لقد أخذتم منى فنى، وأعطيتمنى
زوجة ..

(يأخذ رأسها فى كفيه ويتأمله وهى جاثية عند
قدميه ..)

إنى صنعتك هكذا حقاً يا جالاتيا .. هذا
الجسم .. وهذا الرأس .. وهذا الوجه .. لكن .. ما
الذى تغير فيك مع ذلك ؟ .. أتدرين كيف صنعت
جالاتيا العاجية ؟ .. لقد حملنى ذلك الجواد المنح فى
سماء المثل الأعلى .. خلّقت ، خلّقت حتى تعبت

الأجنحة وكلت عن متابعة التصعيد .. هناك بين أمثلة
الجمال المختلفة تحيرت وانتقيت .. وعدت لجالاتيا
بأكمل الصور وأجمل النظرات ، وأحلى البسمات ،
وأروع اللفقات .. ثم نبذت ونحيت .. فجعلت
جالاتيا منزهة عن كل نقص وكل سهو وكل
سخف .. إنها الجمال مقطراً من خلال ألف مصفاة
من الصبر الطويل ، والعمل المضنى ، والتجربة
المتصلة .. ولقد ثبت ذلك كله في العاج وخلدته .. لا
تألمى يا زوجى العزيزة .. لم يذهب كل هذا الجمال
عنك .. لا .. لكن ما الذى تغير فيك مع ذلك ؟ ..
نظراتك جميلة .. نعم .. ولكن فيها شيئاً محدود
المعنى .. أما نظراتها فكانت كأنها تشرف على عوالم
غير محدودة الآفاق .. لفتائك رائعة ، ولكن تفسدها
أحياناً حركة طائشة ، أما لفتاتها فكانت دائمة الروعة
والجلال .. بسماتك حلوة ، ولكن ... أعرف ما
تنطوى عليه ! .. وشفئك رقيقتان ، ولكن

أعرف ما ينفرج عنهما من حديث ، وما يمكن أن
ينطبع عليهما من قبلات ! .. أما شفتاها فكانتا
تنفرجان عن كلمات لم تقلها قط ، ولن تقولها أبداً ،
ولكن لها صدى بعيد ، يتغلغل في كل قلب إلى الأغوار
التي لا يدرك لها قاع .. وفمها يوحى بقبلات لم تمنح
قط ولن تمنح أبداً ، ولكنها تتراءى للأعين دائماً ،
وتثير النفوس دائماً على مدى الأزمان .. هذا هو
الفرق بينك وبينها : كل ما فيك محدود ، وكل ما فيها
غير محدود ! ..

جالاتيا : (في صوت خافت وإطراق ذليل) صدقت يا
بجماليون ! ..

بجماليون : إياك أن تدعى هذا الكلام يجرح نفسك .. إلى لا أريد
إذلالك أنت يا زوجتي العزيزة ! .. إنما أسوق الكلام
إليهم هم .. في عليائهم ! .. سكان أولمب ..
هه ! .. سكان أولمب الجبارة ! .. أولئك الخالدون
الذين لم يستطيعوا أن يصنعوا غير الهالك المحدود .. أما

أنا الهالك المحدود فقد استطعت أن أصنع الخلود ! ..
يا سكان أولمب ، في إمكانكم أن تعجبوا ذلك
المزيج من الجمال والقبح والنبيل والسخف والارتفاع
والابتذال وتسمّوا ذلك الحياة ! .. ولكنكم لن
تستطيعوا أبداً أن تصنعوا مثلي ذلك الشيء المقطر
المصفى الذى يسمى الفن .. نعم .. الفن هو قوّى أنا
البشر الفانى .. هو جبروتى .. هو معجزتى .. هو
سلاحى .. فى إمكانى أن أقيس قامتى إلى قامتكم ،
وأن أنتضى سلاحى لأقرع به سلاحكم .. سلاحكم
الحياة وسلاحى الفن ! ..

(تبدو من فينوس فى النافذة حركة ، فيادر أبولون
بوضع أصبعه على فمه مسكناً إياها)
جالاتيا : (الدموع فى عينيها) إني فخورة بك يا بجماليون فإن
خير ما فىّ هو من صنعك .. ولكن ..
بجماليون: أتبكين ؟ ..

جالاتيا : لا أريد أن تبغضنى .. لست أحتمل فكرة بغضك

لى .. إنى أفهم الآن كل ما قلت .. إن مقامى هنا على
 هذه الصورة مستحيل .. إنى لست من عملك
 الخالص كما ذكرت .. إنك تنظر إالى ، وفمك يكاد
 يرمى فى كل لحظة بهذه العبارة القاسية ؛ يا
 للبشاعة !.. يا للجريمة ! ... لقد تشوه عملى ! ...
 أتخسنى أطيع قولك هذا طويلا ؟ .. !

بجمالون: لا تبكى يا جالاتيا .. ألم أقل لك إنى لست ناقما عليك
 أنت ! ..

جالاتيا : بل إنك لناقم على .. بل إن كل يوم يمضى تتسع معه
 الهوة بينك وبينى .. إن وجودى معك لن يفتر يذكر
 بأثر الضائع وفك المفقود .. بجمالون ! .. يجب
 أن نفترق ! ..

بجمالون: نفترق !؟ ..

جالاتيا : منذ الآن ! .. هذا خير لى ولك .. إنى لن أحتفظ
 حتى بهذه الصورة طويلا .. إنى فى كل يوم أسير خطوة
 نحو الهرم .. إنى لن أتحمّل عينيك ، وهما تنظران إلى

— ١٢٣ —

جسمى ووجهى بعد سنوات ١؟ .. جنبنى هذا
الإذلال ، ووفر على هذه الصدمات ..

بجماليون: تهرمين ١؟ ..

جالاتيا : ألم تفكر فى ذلك يا بجماليون ؟ .. أليس شعرى
معرضاً للشيب ووجهى للتجاعيد ، وجسدى ..

بجماليون: كفى .. يا جالاتيا ! ..

جالاتيا : أرأيت ؟ .. إنك لا تستطيع أن تتخيل ذلك ! ..

بجماليون: (فى همس) لا أستطيع ! ..

جالاتيا : لقد لفظت الحقيقة الساعة يا بجماليون ! .. إنى لست

عملك الفنى ! .. ولا أستطيع أن أكون كذلك ..

ينبغى أن تفكر فى شئ آخر أيضا .. هو احتمال

موتى ! ..

بجماليون: موتك ! ..

جالاتيا : وبه يحى كل أثر لعبقريتك ! ..

بجماليون: (كاتخاطب لنفسه) موتك ! ... لا .. لا يمكن أن

أطبق ذلك ! ..

— ١٢٤ —

جالاتيا : أعرف هذا .. لا لأنك تحبني .. بل لأنها صدمة
لكبريائك الفنى ! ..

بجماليون: (كالخاطب لنفسه) عملى الجميل يتحول إلى
تراب ! ..

جالاتيا : أرأيت ؟ ..

بجماليون: وجهادى الطويل ؟ ! ..

جالاتيا : وما اختلسته من قبسات النور فى سماء المثل العليا ،
وأنت على جناحى الجواد الطائر ؟ ! .. وما تخيرته
وانتقيته من خير نماذج الجمال وأروع أشكال
الكمال .. كل ذلك يقدم وليمة فاخرة لدود المقبرة ! ..

بجماليون: ويل لسكان أولمب ! .. حسبك يا جالاتيا ! ..
كفى .. كفى .. لماذا تعذبنى بكل هذا الآن ؟ ..

جالاتيا : لست أدري يا بجماليون .. مغفرة ! .. إنها حماقات
تخرج من فمى دون أن أعنى بها شيئاً .. إنما أشعر مع
ذلك شعوراً خفياً أننا سنفترق .. لست أدري
كيف ؟ .. فأنا لا أستطيع أن أغادرك راضية، أو

كارهة .. وإذا افترقنا فإلى أين أمضى بعيدة
عنك ؟ .. كلا .. أرجو أن يكون شعورى
كاذباً .. وأغلب الظن أنه كذلك .. هلم فلنتحدث
فى شىء آخر أيها العزيز بجماليون ! .. لقد أطلنا الكلام
فى أشياء قائمة سوداء .. قبلنى يا بجماليون أيها
الحبيب ! .. قبلات كثيرة كثيرة .. فإنى أخشى
أن ..

بجماليون: (شارد الذهن) نعم ! ..

جالاتيا : بجماليون ! .. ماذا بك ؟ .. ماذا دهك ؟ ..

بجماليون: (ينهض بقوة) إلى أعرف الآن ما ينبغى أن أسلك من
طريق ! ..

جالاتيا : (فى قلق) إلى أين تمضى ؟ .. إلى أين تمضى ؟ ..

بجماليون: (شارد الذهن يتجه إلى الباب) إلى المعبد ! ..

جالاتيا : (هامسة خائفة) المعبد ؟ ..

بجماليون: (يعود إلى جالاتيا ويمسك بها) جالاتيا ! ..

جالاتيا ! .. قبلنى كثيراً .. ولأقبلك قبلات

— ١٢٦ —

كثيرة ... كثيرة ... وداعا ..

(يتعانقان طويلاً ...)

(يخرج سريعاً .. وتبقى جالاتيا جامدة

شاحبة)

جالاتيا : (تقع منهوكة على قاعدة التمثال بقربها وهي تهمس) :

وداعا ! ..

(تضع رأسها بين كفيها ...)

بجماليون: (في الخارج صائحاً) أيتها الآلهة ! .. يا فينوس ! ..

يا أبولون ! .. ردوا إليّ عملي وخذوا عملكم ! ..

ردوا عليّ فنى .. أريدها تمثالاً من العاج كما

كانت ! ..

(... فينوس تلتفت إلى أبولون)

فينوس : أسمع ؟ ..

أبولون : نعم ! ..

فينوس : والآن ؟ ..

أبولون : ليس هناك غير أمر واحد : نسحب مالنا ونعطيه

— ١٢٧ —

ماله ! ..

فينوس : ونسلم بهزيمتنا ! ..

أبولون : أؤنستطيع أن نفعل غير ذلك ! .. إنه يطلب رد تمثاله كما

كان .. فلنردد عليه تمثاله كما كان ! ..

فينوس : (تمسك يديها نحو جالاتيا المطرقة) ارتفعى عن جالاتيا

أيتها الحياة ! .. واتركيها تمثالا من عاج ! ..

(... جالاتيا تجمد فوق القاعدة)

أبولون : (يمد يديه نحو جالاتيا الجمادة) :

عد كما كنت يا فن بجماليون ! .. وسؤ التمثال كما

كان ! ..

(... جالاتيا تتخذ الشكل الذى كانت عليه من قبل

فوق القاعدة الرخامية ...)

الفصل الرابع

(الغابة تزار في ظلام ليلة حالكة ..
والأشجار تترنح من السريح كالمردة
الثائرة . ونرسييس في بهو الدار قد جلس
إلى جوار الستار .. وهو مطسرق
كالناعس .. وجوقة الراقصات التسع في
غلائل قائمة يتهادين مقتربات مسن
النافذة ...)

الجوقة : (من خارج النافذة هامسات) نرسييس ! ..
نرسييس : (يلتفت إليهن هامساً وأصبعه على فمه) صه ! ..
الجوقة : (في همس) ماذا به ؟ ...
نرسييس : (هامساً) إنه نائم ! ..

(بحماليون)

— ١٣٠ —

الجوقة : (هامساً) أهو مريض ؟ ...

نرسيس : أصابه برد خفيف ! ...

الجوقة : من أثر خروجه ليلاً إلى كوخ الغدير ! ..

نرسيس : كفى ثرثرة أيتها النساء ! ..

الجوقة : ما هذا العنف في معاملتنا يا نرسيس ؟ .. إنك لم تعد

زهرة رقيقة ؛ بل صرت رجلاً وحشياً الطباع ! ..

نرسيس : أغلق هذه النافذة في وجوهكن ؟ ..

الجوقة : هذه النافذة لم تغلق قط في وجوهنا ؛ لأنّ بجماليون

يقدر الجمال ! ..

نرسيس : أنا أيضاً أقدر الجمال .. ولكنى أزدري الجميلات ..

انصرفن الآن ! ..

الجوقة : حتى إسمين ؟ ..

نرسيس : إنه ليست خيراً منكن ! ..

الجوقة : لا أمل فيك يرتجى ! .. كنا نحسبها قد فتحت عينيك

لترى — على الأقل — جمال المرأة ! ..

نرسيس : لقد رأيت عيناى منها أكثر مما ينبغي ..

— ١٣١ —

الجوقة : وأين هي الآن ؟ .. أهجرتها ؟ ..

(صوت سعال يرتفع من خلف الستار)

نرسيس : أرايتن ؟ .. إنكن تزعجن نومه ..

الجوقة : (في همس) فلنذهب إذن .. فلتتصرف ! ..

(يغادرن النافذة وينصرفن راقصات مع

(الرياح)

بجماليون: (صائحاً من خلف الستار) نرسيس ! ..

اسقنى ! ...

نرسيس : (يهرع نحوه) استيقظت يا بجماليون ؟ ! ..

بجماليون: (يظهر في رداء النوم وعلى منكبيه غطاء) أخبرني

أولا .. خيل إلى أنى سمعت صوت امرأة هنا ! ..

نرسيس : امرأة ؟ ! ..

بجماليون: مع من كنت تتحدث إذن ؟ ..

نرسيس : هؤلاء الفتيات الثرثرات ! ..

بجماليون: (وهو يجلس على مقعده) لا تضق ذرعاً بهن يا

نرسيس ! ..

— ١٣٣ —

نرسيس : أتراها جديرة أن نكرس لها كل هذه الأحاديث ؟ ..
بجماليون : إنها امرأة ذكية فطنة .. ألا ترى هذا ؟ ..
نرسيس : ليس هذا سبباً يكفى ؛ لأن تُسرف في تقديرها ..
بجماليون : وهى تحبك أجمل الحب ! ..
نرسيس : ليس للنساء عمل فى الحياة غيرُ الحب ! ..
بجماليون : آه ! .. نعم ! .. هذا مع ذلك ليس بالشئ
القليل ! ..

نرسيس : لم أعد أرى الأمر كما تصف ! ..
بجماليون : ويحك يا نرسيس ! .. تلك التى بصَّرتك بأشياء ،
وجعلت منك إنساناً ذا فهم وإدراك .. يا لنكران
الجميل ! .. أهكذا دائماً كلما فتحت أعيننا العمياء
يد ، نبدأ أول ما نبدأ بأن نراها أصغر مما كنا
نتخيل !؟ ..

نرسيس : لست أسمى هذا إنكاراً للجميل ! ..
بجماليون : ماذا تسميه إذاً .. كبرياء مواهبنا المتيقظة المدركة
لذاتها !؟ ..

— ١٣٢ —

نرسيس : (ينظر إليه مليا) ما أرفقتك اليوم بالنساء ! ..
بجماليون : (ينظر حوله في ضيق) أف ! .. لقد سمعت هذا
المكان ! ..

نرسيس : لا يحسن أن تغادر فراشك بهذه السرعة والليلة باردة
والريح تهز الأشجار منذرة بعاصفة ! .. إنك في حاجة
إلى النوم الهادئ والغطاء الدافئ لتسير نحو الشفاء ! ..

بجماليون : لماذا تخاطبتي كأني مريض ؟ ..

نرسيس : أنت كذلك منذ أيام ! ..

بجماليون : يالك من أحمق ! ..

نرسيس : لم أعد أحمق .. لقد أفرطت في الخروج ليلا يا
بجماليون ! ...

بجماليون : ألم أحرم عليك التدخل في شئوني ؟ ! ..

نرسيس : ثقب أن لا شيء يعنيني الآن من أمرك غير صحتك ! ..

بجماليون : حدثني أنت عن نفسك .. ما خبرك مع إيسمين ؟ ..

نرسيس : لقد سألتني عنها منذ أيام فأخبرتك ..

بجماليون : حقاً .. حقاً .. ومع ذلك حدثني عنها أيضا ..

— ١٣٤ —

نرسييس : أتعنيني أنا يا يجماليون ؟ .. لماذا توجه إليّ هذا

الكلام ؟ ..

يجماليون : قليلا من الهدوء يا نرسييس ! .. قليلا من الهدوء ! ..

أين هي الآن .. إيسمين ؟ ..

نرسييس : لست أدرى ! ..

يجماليون : إنها حية على أى حال ! ..

نرسييس : أرجو ذلك ! ..

يجماليون : وهى ما زالت تحمل لك بعض المودة على الأقل ! ..

نرسييس : أظن ذلك ! ..

يجماليون : (مطرقا كالمخاطب لنفسه) نعم .. نعم .. المودة

والرحمة .. أشياء تعطىها الحياة .. ولا يستطيع أن

يعطيها أنفن ...

نرسييس : (ينظر إليه ملياً) ؟ ..

يجماليون : (يرفع رأسه نحوه) لماذا تحملق فيّ هكذا ؟ ..

نرسييس : لا .. لا شئ ..

يجماليون : أيسوءك أن أتكلم في هذا ؟ ..

— ١٣٥ —

نرسييس : كلا .. على الإطلاق .. لست أحرم عليك الكلام في

شعوني ! ..

بجماليون: شكراً لك يا نرسييس ! ..

نرسييس : إني أعلم أن الكلام في هذا الموضوع يعطيك كثيراً من

الراحة ! ...

بجماليون: (يرفع نظره إليه) ماذا تعنى ؟ ..

نرسييس : (في خبث) إيسمين امرأة حية على أى حال .. والمرأة

الحية ليست بالشئ القليل ! ..

بجماليون: (يطرق) اسقنى يا نرسييس ! ..

نرسييس : معذرة ! .. لقد نسيت أن آتى إليك بالماء ... تريد

شربة من ماء ؟ ..

بجماليون: لا أستطيع أن أسألك شراباً آخر ! ..

نرسييس : ولم لا ؟ .. إذا طلبت شراباً من عصير الفاكهة ! ..

بجماليون: (في عنف) صه ! ...

نرسييس : أترانى تفوهت بما لا ينبغي يا بجماليون ؟ ..

بجماليون: (بعد تردد) حدثنى في شأنك أنت .. أخبرنى :

— ١٣٦ —

حقاً تستطيع أن تعيش الآن حياة ناعمة هنيئة بغير
حنان إسمين ؟ ..

نرسييس : (ينظر إليه طويلاً) هذا سؤال لم ألقه بعد على
نفسى ! ..

بجماليون: هأنذا ألقيه عليك الآن ..

نرسييس : ليس الوقت الآن مناسباً للتفكير فى أحد غيرك أنت ،
ولا فى شىء غير صحتك وما أنت فيه ! ..

بجماليون: (يعود إلى الإطراق) أصبت ! ...

نرسييس : (يتحرك) إنى ذاهب أحضر إليك الماء ! ..

بجماليون: إنها لحماقة وثرثرة وهُراء ! ...

نرسييس : (يقف ، يلتفت إليه) ماذا ؟ ..

بجماليون: هذا الذى نتحدث فيه الساعة ! .. لكأنك لا تجد

أشياء عالية المعنى خالدة القيمة تحدثنى فيها الآن ! ..

نرسييس : أنا الذى لا يجد .. أو أنت الذى لا يريد أن يتكلم منذ

أيام فى غير هذا الضرب من الحديث ! ..

بجماليون: كل ذلك من أجلك أيها الفتى الطائش ! ..

— ١٣٧ —

نرسييس : من أجلى أنا ؟ ..

يجماليون: من واجبى أن أصلح ما بينك وبين إيسمين ! ...

نرسييس : إني أراك تحمل نفسك واجبات لم يكلفك بها

أحد ! ..

يجماليون: (صائحاً) نرسييس ! .. نرسييس ! ... إني ... لم

أعد أحتمل كبرياءك ؟ ..

نرسييس : ولماذا أحتمل أنا كبرياءك ؟ .. أنت الذى يحرم على

التدخل فى شئونه ، ويبيح لنفسه التدخل فى

شئونى ... ومع ذلك لست أضيق بهذا ... ولا أجد

فيه غضاضة ولا حرجا .. لأننى أفهمك وأرثى لك ...

يجماليون: ترثى لى ؟ ..

نرسييس : أجل يا يجماليون ! .. ليس من العسير على طفل أن

يفطن إلى العاصفة التى تهز أضلاعك ؛ كما تمز الريح

هذه الأشجار ، ولكنك تتحامل وتتماسك ؛ كالدوحة

العتيقة فى مستهل الخريف !! ..

يجماليون: آسف يا نرسييس ! .. إني قد قسوت عليك ..

— ١٣٨ —

ولكن !.. إني لست دوحه عتيقة .. كلا .. إني ! ..

(تهب الريح من النافذة بشدة)

نرسييس : يحسُن أن نغلق هذه النافذة ! ..

بجماليون: لا .. لا تغلقها الآن ! .. لم يَأْن الأوانُ بعد ..

نرسييس : أخشى عليك يرد الليل ..

بجماليون: إني أتحمل دائماً برد الليل ..

نرسييس : كنت أعتقد ذلك من قبل ! .. لكن .. مع

الأسف ! ..

بجماليون: إنك يا نرسييس لم تعد تصدقني ! ..

نرسييس : ما أنت فيه الآن خير دليل ! ..

بجماليون: ولم تعد تؤمن بي ..

نرسييس : أنت نفسك لم تعد تؤمن بنفسك ..

بجماليون: كفى ! ..

نرسييس : كل شيء فيك الآن ينطق صائحاً ! ..

بجماليون: لا تقل شيئاً .. لا تقل ..

نرسييس : أرايت ؟ .. إنك تخاف أن أفتح فمي .. اطمئن .. لن

— ١٣٩ —

أفعل إشفافاً بك وعطفاً عليك ! ..

بجماليون: اذهب عني ! ..

نرسيس : وهل في مقدورى أن أذهب عنك ؟ ..

بجماليون: إيها المفتون !.. إني أبغض الآن سماع صوتك ..

نرسيس : سألزم الصمت لتكلم أنت ..

(لحظة إطراق)

بجماليون: (كالتخاطب لنفسه) أتكلم أنا !؟ ..

نرسيس : نعم .. دعني أسمع صيحات نفسك !..

بجماليون: (فى صوت خافت) وما النفع ؟ ..

نرسيس : أرايت ؟ .. إن كلماتك لن تكون غير صدى

كلماتي ! ..

بجماليون: آه أيها الشقى ! .. أيها الشقى !.. كيف أستطيع

الخلاص منك .. أنت الذى أراه ماثلاً أمام وجهي

دائماً .. إني إذ أنحنى على الغدير الراكد فى أغوار نفسى

لأرى صورتى .. إنما أبصر صورتك أنت .. نعم ..

أنت بزهو كالأجوف وكبرياك وحققك

وعماك ! ... أنت الشطر الجميل العقيم من
نفسى ... أنت الخطيئة التى كتب على كل فنان أن
يحمل وزرها .. الافتتان بالنفس .. الافتتان
بالذات ! ..

نرسيس : ولم لا ؟ .. أنت عبقرية خالقة .. بالفن صنعتَ حُسنًا
خالداً ! ..

بجماليون : (همساً كالتخاطب نفسه) تماها ! ..

نرسيس : لا .. ليس تماها .. إني أمنعك عن الكلام هكذا ..
هذه المرة أنا الذى يحرم عليك ذكرها على هذا النحو ..
ذاك حدث جاء ومضى ويجب أن تنساه .. حدث
طارئ لا شأن لك فيه ! .. بل هو حلم من الأحلام
المضحكة الزائلة .. إذ، ما تسميه « زوجتك الحية » لا
وجود له إلا فى رأسك .. أما هذا التمثال العاجى فهو
الحقيقة الباقية .. إنك لتفقد عقلك وفنك إذا أصررت
على اعتبار هذا التمثال صورة لزوجة ميتة .. اخلع رداء
« الأرمل » الحزين الذى ترتديه سرّاً يا بجماليون ! ..

— ١٤١ —

عد إلى فنك وارجع إلى تمثالك واحذب على
عملك ! .. انظر إليه الآن ؛ كما كنت تنظر إليه من
قبل .. انظر ..

(يتجه نحو الستار ...)

يجماليون: (يشيح بوجهه) لا ... لا أريد أن أرى صورتها
جامدة متحجرة ! ..

نرسيس : صورتها ؟ ! ..

يجماليون: آه .. لقد اختلط الأمر في رأسي :

أيهما الأصل وأيهما الصورة ؟ ! .. قل لي يا
نرسيس : أيهما الأجمل وأيهما الأنبل ؟ .. الحياة أم
الفن ؟ ! ..

نرسيس : ألم أقل لك إن كل شيء فيك الآن ينطق صارخاً أنك ..
أنتك تشك في فنك ؟ .. لقد منعتني الساعة من أن
أقولها .. فهأنذا الآن الذي يتكلم ! ..

يجماليون: أجل يا نرسيس .. إني أشك ..

نرسيس : لقد أدركت ذلك منذ رأيته تتجنب رؤية التمثال ..

لقد مضت أيام دون أن تدنو منه ، أو تدع أحداً يزح
 عنه الستار ! .. انظر .. لقد تجمع التراب حول
 قاعدته .. لا يجب مع ذلك أن نتركه هكذا .. أين
 الكنيسة ؟ ..

بجماليون: (كالتخاطب لنفسه) الكنيسة ! ..

نرسييس : ماذا دهاك ؟ .. بم تهمس ؟ ..

بجماليون: (ينهض بشدة) إني ذاهب ..

نرسييس : لا .. لن تغادر الليلة هذا المكان ! ..

بجماليون: إني ذاهب ..

نرسييس : الريح تعصف .. لقد جرّ عليك الخروج ليلاً ما وقعت

فيه من مرض .. لن تخرج الليلة .. سأحول بينك وبين

ذلك بكل قواى ! ..

بجماليون: الويل لمن يحاول منعى ! .. سأذهب إلى الكوخ شأنى

فى كل ليلة ... لا أستطيع أن أقضى الليل مع تمثال

جامد يذكرنى بجريمى .. إنها تنتظرنى هناك .. شأنها

فى كل ليلة ! .. زوجتى ! .. زوجتى .. آه .. إني

— ١٤٣ —

قاتل زوجتى ! ..

نرسيس : أيها المسكين ! .. لا تقل ذلك ! .. كل هذا أيضاً من

صنع خيالك ! ..

بجماليون : اسكت أيها المجنون ! ..

نرسيس : أنا المجنون !؟ .. ماذا أفعل الآن ؟ .. أصغ إليّ يا

بجماليون .. دعنى أذهب معك .. الظلام الليلة

حالك ، والرياح تزار في الغابة ، وأنت على ما بك من

الضعف .. ربما احتجت إلى ساعدى يعينك على

السير !

بجماليون : (صائحاً) لا .. لا يذهب معى أحد .. إلى أذهب

إليها بمفردى ..

نرسيس : (يائساً) اذهب إذن ! ..

(بجماليون يتدثر بدثار ثقيل ويخرج من باب

الدار ...)

نرسيس : (يفكر لحظة ثم يتحرك سريعاً) هذا الخبول سيحتاج

إلى ! ..

— ١٤٤ —

« يخرج في إثر يجماليون ... »

(فاصل موسيقى)

(يظهر أبولون و فينوس في النافذة ثم يقود أبولون فينوس من

يدها إلى داخل الدار ...)

فينوس : وبعد يا أبولون !؟ ... ألن تكف عن المجيء إلى هنا كل
ليلة ! ..

أبولون : لا أستطيع أن أقضى الليل دون أن ألقى نظرة على هذا
التمثال ! ..

فينوس : لكأني ما أعدته أخيراً إلى حاله هذا إلا من أجلك
أنت ..

أبولون : لقد كانت خسارة كبرى لو أنه ظل امرأة حية ، ولا
شيء غير امرأة حية ؛ كألوف الألوف من النساء ! ..

فينوس : يا للعجب ! .. إن صاحبه لا يقول ذلك الآن ! ..
أبولون : إنه مريض ! ..

فينوس : إنه يهرب منه كل ليلة كما ترى ..

أبولون : (يرفع الستار ويتأمل التمثال) انظري كيف تخيل

— ١٤٥ —

هذا ؟ .. كلما تأملته انتشيت عين النشوة ! .. أئى

حلم بشرى يغمرنا بروعته نحن الآلهة ! ..

فينوس : أما بجماليون .. فإن الحلم الذى يغمره الآن هو شبح

زوجته الحية ! ..

أبولون : وأسفاه ! ..

فينوس : لماذا تأسف ! .. هذا ما كان يجدر أن نغبط له ..

أنسيت تحديه لنا وتهجمه على مقامنا .: أنسيت

كبرياءه الوقحة فى مخاطبتنا ، وصيحاته المهينة التى

ألقي بها فى وجوهنا ؟ ... أنسيت ! ..

أبولون : (فى غير اكتراث وهو يتأمل التمثال) نعم... ..

نسيت ..

فينوس : إنك تنسى دائماً .. أما أنا فلا أنسى ..

أبولون : هذا أيضاً فى طبيعتك ..

فينوس : يدهشنى كيف احمى من ذهنك — على الأقل — قوله

صارخا : ياسكان أولمب .. فى إمكانى أن أقيس قامتى

إلى قامتك .. سلاحكم الحياة وسلاحى الفن ..

(بجماليون)

— ١٤٦ —

خذوا عملكم الفانى المحدود وأعطوني عملى العظيم
الخالد ! ..

أبولون : (وهو ما زال يتأمل التمثال) أهو قال ذلك ؟ .. لو
كان قاله فقد أصاب ! ..

فينوس : ويحك يا أبولون .. ويحك ! .. لماذا يحلو لك دائماً أن
تخذلنا مع البشر .. إن الساعة الآن ساعتنا .. إنه الآن
يقر بأن الحياة أجمل من الفن .. إنه لا يستطيع أن يتعد
عن ذلك الكوخ الذى بغشت إليهما فيه كوبيد يرشق
جسديهما بكل ما عنده من سهام .. ويشعل قلبيهما بما
يملك من ضرام .. وينثر على فراشهما كل أزهاره
ومتعه ولذاته ومسراته .. إنه الآن يعترف بأن الحياة
أنبل من الفن .. فيرى المكنسة التى كانت فى يد زوجته
الطيبة الرحيمة ، أرفع معنى من لفنة تمثاله المتعالية ! ..
إنه الآن يكاد يخز على ركبتيه كالودحة المتداعية ، وكل
شئ فيه ينطق صائحاً :

لقد انهزمت ! ..

أبولون : ألن تكفى عن ذكر الهزيمة والانتصار أيتها المرأة ..
 عفوا ... أيتها الإلهة ! .. لست أرى الأمر كما ترين يا
 فينوس ! .. تأملى التمثال .. إني الآن أدرك أن كل ما
 وضعنا نحن فيه قد أفسده حقاً وأخرجه عن نطاق
 الفن ! .. هو الآن كذلك .. آية فنية .. لقد صدق ..
 إننا معشر الآلهة قد نستطيع الإتيان بكل المعجزات ..
 إلا الفن .. تلك معجزة الآدمى العبقري وحده ! ..

فينوس : (تهتز غيظاً) وبعد ؟ .. وبعد ؟ ..

أبولون : لا شيء .. كما ترين .. يظهر أن كلا منا ينحنى الآن
 أعجاباً أمام عمل الآخر ! ... هذا كل ما فى الأمر .. لا
 أقل ولا أكثر ! ..

فينوس : هكذا تحرمنا أنت ثمرة انتصارنا فى اللحظة
 الأخيرة ؟ ! ..

أبولون : بئس هذا الانتصار على الوجه الذى تفهمين .. ومع
 ذلك لم يسقط بعد صريعاً .. إنه جريح .. والشك

يُدمى نفسه ! .. لكن .. ليس لأحد أن يزعم أنها
النهاية .. والآن يا فينوس .. هل لك في أن تمنحيني
اللمحة صمت كي أتأمل التمثال في هدوء وسلام ؟ ..
فينوس : متى تشبع من النظر إليه ! .. لكأنك الليلة تريد أن تملأ
به روحك ..

أبولون : أخشى أن يرتكب بجماليون حماقة ! ..

فينوس : أتخس ذلك ..

أبولون : وأنت ؟ ..

فينوس : أنا أيضاً أحس أن شيئاً سيقع الليلة ! ..

أبولون : إن لـ بجماليون عندي منزلة كبرى .. إن من كان مثله

يا فينوس ليستحق أن يغتفر له عيبه وزلاته وضعفه

وهناته ..

فينوس : صه .. إنه قادم ! ..

أبولون : لم يستطع المسكين أن يبلغ الكوخ ! ..

فينوس : لقد عاد به صاحبه من منتصف الطريق ! ...

أبولون : إنه يكاد يحمله حملاً ! ..

— ١٤٩ —

فينوس : هلم بنا ! .. هلم بنا ! ..
أبولون : لا ننصرف حتى نرى .. ابقني معي خلف النافذة ! ..
(فاصل موسيقى)

(يقودها ويخرجان من النافذة ويقيان خلفها
يشاهدان ...)

(يفتح باب الدار ويدخل نرسيس وهو يسند
بجماليون إلى صدره بينما صفير الريح يستمر ،
وحفيف الأشجار يسمع)
نرسيس : (يجلس بجماليون على المقعد) فلنخلع عنك أولا هذا
الرداء الذي تلتطخ بالأو-تال ..
(يخلع عنه الرداء الثقيل)

بجماليون: (وهو يلهث من التعب) لماذا عدت بي ؟ ..
نرسيس : أكنت تريد مني أن أدعك في الطين وقد سقطت
إعياء ؟! ..

بجماليون: كان ذلك خيراً لي ! ...
نرسيس : أهذا كلام عاقل يا بجماليون ؟ .. أنك هنا الآن في

— ١٥٠ —

دارك على الأقل .. حولك أسباب الراحة .. انتظر
حتى أوقد لك ناراً ! ..
بجماليون: لا .. لست أريد شيئاً ! ..
نرسيس : وأخيراً ؟ .. هل أقنط من حالك ؟ .. ثق أنى أوشك
أن أزمع الانصراف عنك وتركك وحدك ! ..
بجماليون: تحسن صنعاً لو فعلت ! ...
نرسيس : إني لأكاد أجن ! ..
بجماليون: دعنى يا نرسيس ! .. دعنى ..
نرسيس : أخشى .. أن ..
بجماليون: لا .. لا تخش أن أغادر الدار الآن ..
نرسيس : وإذا احتجت إلّى ؟ ..
بجماليون: لا أظن أنى أحتاج إليك ! ..
نرسيس : إني ذاهب إذن ... (كالتخاطب لنفسه) ولكن
سأبقى على مقربة منك ! ..
(يخرج من الباب المؤدى إلى داخل الدار)
بجماليون: (ينظر إلى التمثال) هاأنذا معك أيها التمثال ! .. فلماذا

أحس أنى وحيد ؟ ... هذه الوحشة معك لم أشعر بها
قط من قبل .. لقد كنت أيها الأثر الفنى تملأ على هذه
الدار ! .. لقد كان فنى يملأ حياتى .. أما الآن فكل
شئ فى حياتى فراغ .. وكل شئ فى عيني هباء .. ماذا
أصنع ؟ .. كيف أصنع ؟ ..

(يضع رأسه بين كفيه ويكى ...)

فينوس : (همساً لأبولون) إنه لشقى تعس ؟ ..

أبولون : حقاً ..

فينوس : ألا ترى أن نفعل شيئاً من أجله ؟ ..

أبولون : عجباً ! ... يظهر أن منظر رجل ييكى أمرٌ يحرك قلب

كل امرأة ... وإلهة ! ..

فينوس : ليس من العيب أن يكون لى قلب يتأثر ! ..

أبولون : بغاية السرعة ؟ ! ..

فينوس : ما رأيك يا أبولون لو نفخنا الحياة فى تمثاله هذا مرة

أخرى ، وأعدنا إليه زوجته من جديد ؟ ! ..

أبولون : أتدرين مالذى يحدث لو فعلنا ذلك ؟ ..

فينوس : ماذا ؟ ..

أبولون : عين ما حدث في المرة الأولى .. يقبل على جالاتيا الحية
معجباً في بادئ الأمر .. ثم لا يلبث أن يراها أقل جمالا
وكالا من جالاتيا العاجية .. فيطالبنا بردها كما كانت ،
صائحاً في وجوهنا بعين الألفاظ المهينة .. فإذا أعدنا
إليه عمله الفني ، هدأ لحظة ثم عاد يراه أقل جمالا وكالا
من الصورة الحية .. وهكذا دواليك .. لن يقر له
قرار ، ولن يطمئن له بال .. فلا جمال الحياة يشبعه ،
ولا جمال الفن يكفيه .. ولن يفتر عن ملاحقة الجمال
والكمال في شتى الأوضاع والصور ومختلف الأشكال
والأحوال .. لا ينطفئ له ظمأ إلا بانطفاء الشعاع
الأنخير من نفسه القلقة الحائرة ؛ من أجل ذلك يا
فينوس قلت لك كُفِّ عن ذكر الهزيمة والانتصار ...
إن الحرب بيننا وبينه سجال دائما ! .. ولن يكون
الأمر غير ذلك أبداً ! ..

فينوس : إذن لا ينبغي أن نصغى إليه ، ولا أن نرثي له إذا سكب

غزير الدموع .. فليتقلب على مضجع الوحدة ،
وليعنَّ على فراشه البارد ، وليمزق بأسنانه الوسائد ، فلا
يدفنه جسد حار لامرأة بالحب مضطربة ! .. وليعيش
في هذا النضال الدائم إلى أن يسقط بغير قبلة رحيمة ،
على جبينه المتصبب بالعرق !..

أبولون : هو ذاك يا فينوس ! .. لقد رأينا من بجماليون — على
الأقل — ما يقنعنا كل الإقناع : إنه يحسن بالآلهة ألا
يتدخلوا على الإطلاق في شؤون العباقره ! ..
فينوس : صه ! .. إنه ينهض وكأن في رأسه فكرة ! ..
أبولون : أخشى أن ..

(بجماليون ينهض ببطء ويتمشى بخطا ثقيلة نحو
التمثال ، ويتأمل لحظة ، ويهز رأسه يأساً .. ثم يأتي
بالمكنسة فيضعها في يد التمثال ويتأمل لحظة .. ثم
يتنزعها في عنف ، وينهال على رأسه تحطيمًا بالمقبض
الصلب للمكنسة...)

بجماليون: (صائحاً هائجاً وهو يضرب رأس التمثال) لا ..

لا .. لا .. لم تعد مثالا لما ينبغي أن أصنع ! .. لم تعد
مثالا لما ينبغي أن يكون ! ..

(يفتح الباب الداخلى ويدخل نرسيس)

نرسيس : (صائحاً) ماذا فعلت أيها الشقى ؟ .. ماذا فعلت
أيها التعس ؟ ..

(يرتقى على پجماليون ويدفعه إلى فراشه)

پجماليون : (ساقطاً على فراشه) أديت واجبى ...

نرسيس : (يعود إلى التمثال فيجمع بقايا الرأس من الأرض)
لاريب أنك فقدت الصواب ! ..

پجماليون : سوف أصنع خيراً منه ! ..

نرسيس : (وهو يحاول أن يضع بقايا الرأس مكانها من التمثال)
أنت ؟ .. متى ؟ .. أتحسبك الآن قديراً على
شئ ؟ ..

پجماليون : (يهدير هائجاً وهو ملقى على فراشه) سوف أصنع
خيراً منه .. فى صدرى أشياء سوف تخرج .. أشياء
عظيمة فى جوفى يجب أن تخرج ..

— ١٥٥ —

نرسيس : (في غيظ) ليس هنالك الساعة شيء سيخرج غير
روحك ! ..

بجماليون: ماذا تقول يا نرسيس ؟ ..

نرسيس : إنك انتهيت يا بجماليون ! ..

بجماليون: (يحاول الاستواء على فراشه) اسكت أيها
الأحمق !! .. لن أموت قبل أن أصنع تمثالا هو آية الفن
الحق .. إني حتى الآن لم أكن قد وضعت يدي على
السر .. سر الكمال في الخلق .. لقد أضعت حياتي في
الصراع .. صراع مع الفن لاستلاب مفتاحه وامتلاك
الأسلوب .. وصراع مع ملكاتي وغرائزي أو القوى
الداخلية التي هي نفسي .. وصراع مع المصائر
والأقدار أو القوى الخارجية التي هي الآلهة .. صراع
طويل صمدت له .. ومع هذا كله ..

(كمن يكلم نفسه ...)

أترى هذا الصراع كان ضرباً من العبث !؟ ..

إني الآن أرى وأبصر وأعرف وأقدر .. لكن ..

لكن ..

نرسييس : (فى قلق) لكن ماذا يا پجماليون ؟ ..

(پجماليون لا يجيب ...)

فينوس : (تهمس لأبولون) هلم بنا ! ..

أبولون : أرأيت الحماقة التى ارتكبتها ! .. ولكنهم هكذا دائماً

يخطمون الجمال الذى يصنعون .. ليعيدوا بناءه من

جديد ..

فينوس : متى ؟ .. ألا تراه يلفظ النفس الأخير ؟ ..

أبولون : نعم .. ولكن روحه باقى .. روح پجماليون باقى مابقى

فن على الأرض ! ..

فينوس : هلم بنا يا أبولون ! ..

أبولون : هلمى بنا يا فينوس ! ..

(ينصرفان ...)

پجماليون: (فى صوت خافت) نرسييس..! .. أظن أن ..

أنك ..

نرسييس : ماذا يا پجماليون ؟ ! ..

— ١٥٧ —

بجماليون: إنك .. أنت على حق ...

نرسيس : إني كنت أمزح .. إنك بخير يا بجماليون ! ..

بجماليون أوى .. صديقى ..

بجماليون: (فى شبه حشرجة) أحس البرد ! ..

نرسيس : أأغلق هذه النافذة ؟! ..

بجماليون: (فى حشرجة) نعم .. لقد آن الأوان ! ...

الفهرس

الصفحة

١١	مقدمة
٢١	الفصل الأول
٦١	الفصل الثاني
٩١	الفصل الثالث
١٢٩	الفصل الرابع

